العقيدة الفخرية
سفينة النجاة

العقيدة الفخرية
سفينة النجاة

نظم وشرح

الشيخ صلاح الدين خضر فخري

دار الفتوى

مدير الشؤون الإدارية

إمام وخطيب ومدرِّس مسجد الخلية السعودية

الإجازة العالية في الشريعة والقانون

مصر ـ الأزهر الشريف

بيـــــروت

١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م

طبع على نفقة جمعية دار الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم
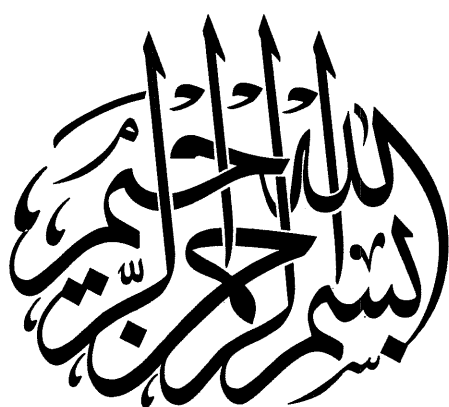
التوطئة

الحمد لله الذي تفرَّد بالوحدة والبقاء،
وكتب على عباده الموت والفناء،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلاة طيبة إلى يوم الدين،
وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين،
وعلينا معهم إلى يوم الدين

وبعد: فلما كان أشرف العلوم وأعلاها وأرفعها وأجلُّها هو علم العقيدة والتوحيد، ومعرفة الواجبات، والجائزات والمستحيلات، فيما يتعلق بواجب الوجود ﷻ، وفيما يتعلق بالرسل صلوات ربي وسلامه عليهم.

فقد انتقيت بعض المسائل والدرر المهمة، وسلكتها في عقدٍ منظوم ليسهل حفظها ودرسها. إذِ النظم ـ كما قيل ـ أثبت في الذاكرة، ولذا قالوا: «من حفظ المتون نال الفنون».

وقد حاولت فيها الاختصار جاهداً، وتركت فيها التطويل.

وصدق القائل اللقاني:

لكن من التطويل كلَّتِ الهمم فصار فيه الاختصار ملتزم

وقد قسمتها إلى خمسة أقسام:

الأول: ما يتعلق في صفات الله تعالى.

الثاني: ما يتعلق بالرسل صلوات ربي وسلامه عليهم.

الثالث: ما يتعلق بآل بيت رسول الله ﷺ.

الرابع: ما يتعلق بالصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

الخامس: ما يتعلق بأولياء الله تعالى.

وكذلك ضمَّنتها بعض الفوائد والفرائد وسميتها:

العقيدة الفخرية

سفينة النجاة

عسى أن أنال دعوة صالحة من قارئ فتوافق استجابةً.

وأطلب من الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها إنه تعالى على كل شيء قدير.

آمين، آمين، آمين.

الشيخ صلاح الدين بن خضر فخري
الحسيني البيروتي
عفى عنه

المقدمة

الحمدُ للَّهِ الكريمِ الهادِي ذي الطَّوْلِ والإنعامِ والأيادِي
ثم الصلاةُ والسلامُ سرْمَدا على نبِينا الحبيبِ ذي النَّدا
وآلهِ خيرُ كرامٍ بَرَرَهْ هُمْ عدتي مودتي للآخرهْ
مع صحبهِ ما غردتْ أطيارُ وما سرتْ في ليلِها الأقمارُ
وبعد... إنَّ هذهْ العقيده في بابِها وعلمِها فريده
سمَّيتُها العقيدةَ الفخريهْ للحفظِ والعلمِ بها حرِيهْ
إيجازُها في غايةِ البيانِ نافعةٌ للقلبِ واللسانِ
نظمتها في خمسة أقسامِ حتى تكون غايةَ المرامِ
أولُ قسمٍ للإلهِ الباقي في صِفَةٍ وكلٍّ فعلٍ ذاتي
والثاني في نبوةِ المختارِ وكلٍّ مُرْسَل إلى الديارِ
والثالث الآل الذين وصَّى فمن أحبهم ينال الأقصى
والرابع الصحابِ ثمَّ الأوليا خامسها في حبِّهم قلبي انْجلى
واللَّهَ ربي أسألُ القبولا وأنْ أرى في الجنةِ الرَّسُولا
فارحمْ إلهي عبدَك الصَّلَاحا وكلَّ مَنْ لاذ بهِ مُرْتَاحا
وكل من حفظها وأظهَرا علا بها فوق الثرى بلا مِرا
والحمد للَّه ختاماً مثل ما بدأته كان العظام العلما
إذ ختموا بالحمد والصلاة على النبي كامل الصفات
والآل والصحب الكرام العلما وكل من سلك درب الحكما
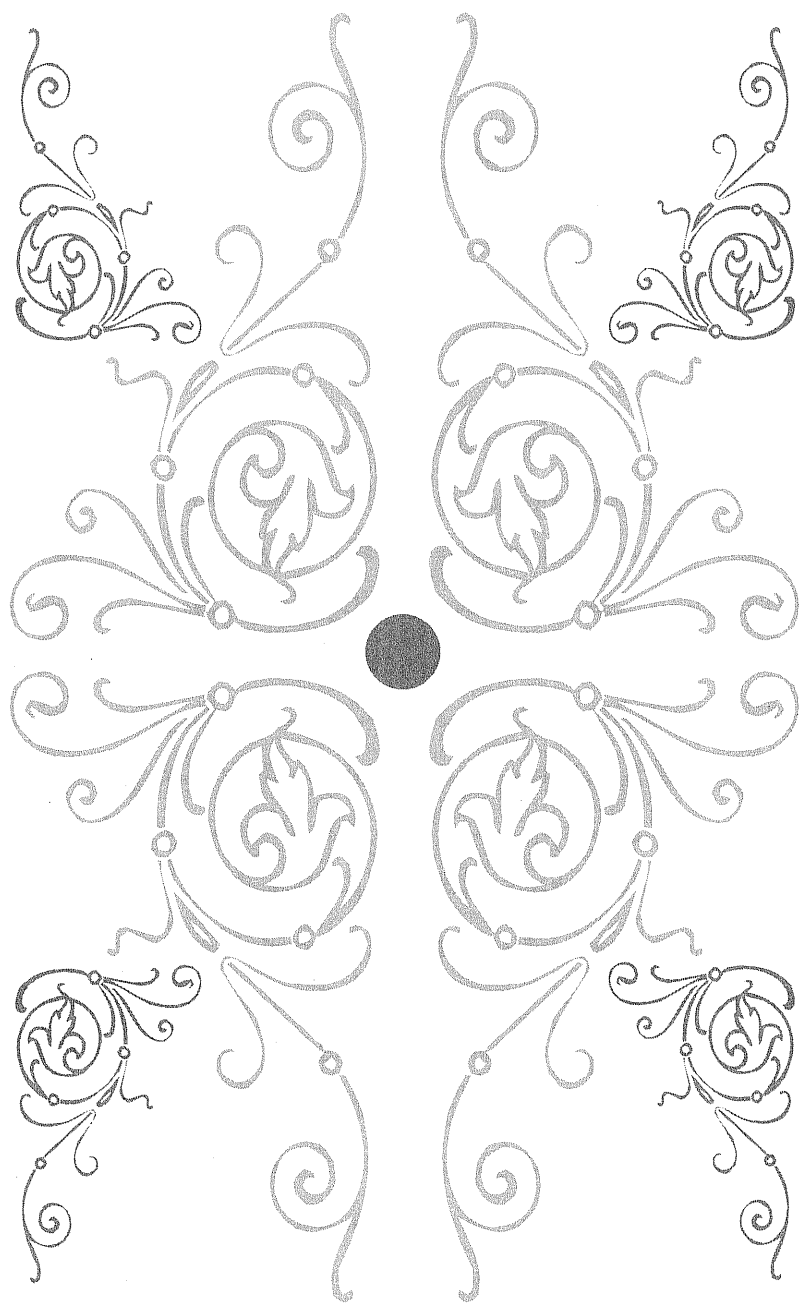
بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أبيات في العقيدة نظمتها، أبتغي بها وجه الله تعالى وقد سمَّيتها «**العقيدة الفخرية سفينة النجاة**».

* * *

الحمد للَّه الكريم الهادي ... ذي الطول والإنعام والأيادي

الشرح

بدأت هذه العقيدة السديدة الرشيدة بـ«الحمد لله» وربنا تبارك وتعالى نحمده ونشكره على نِعَمِه وكرمه وفضله وإحسانه.

ولأن النبي ﷺ قال: «**كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع**»[1]، «**وكل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم**»[2]، وربنا تبارك وتعالى افتتح خمس سُوَر بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

١ ـ الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

٢ ـ الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٣ ـ الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

٤ ـ سبأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٥ ـ فاطر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه.

(٢) رواه أبو داود.

وقد ذكر الجرجاني في «تعريفاته»:

الحمد اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل باللسان وحده.

الحمد الحالي: هو الذي يكون بحسب الروح والقلب.

الحمد العرفي: فعل ما يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً.

الحمد الفعلي: هو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاء وجه الله تعالى.

الحمد القولي: هو حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه.

قلت: وجميع هذه المحامد وألفاظها المراد منها:

حمد الله تعالى والثناء عليه على نِعَمه الجليلة وفضائله الكثيرة وإحسانه.

والحمد كما ذكر أهل العلم:

١ ـ حمد قديم لقديم: كحمد الله تعالى نفسه في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

٢ ـ وحمد قديم لحادث: كحمد الله تعالى عباده الصالحين؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢].

٣ ـ وحمد حادث لقديم: كحمد العبد ربه والثناء عليه؛ كقولنا: «حمداً لك يا ربنا على ما أوليتنا من نِعَم».

٤ ـ وحمد حادث لحادث: كحمد الناس بعضهم بعضاً؛ أي: شكرهم على معروف صنعوه أو عمل قدَّموه.

• **والخلاصة:** أنني أحمد الله تعالى وأثني عليه الثناء الجميل العالي الرفيع، فهو الكريم الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وهو ﷻ ذو الطَّوْل وهو الكرم المستمر وصاحب الإنعام والأيادي

الجليلة الكريمة على عباده من عطاء وكرم ومغفرة وإحسان.

* * *

ثـم الـصـلاة والـسـلام سـرمـدا   عـلـى نـبـيِّـنـا الـحـبـيـب ذي الـنـدا

الشَّرح

ثم إني أُصلي على النبي محمد ﷺ، صلاةً أرجو بها كمال الخاتمة ومحاسنها، من المولى ﷻ.

وقد أمر المولى تبارك وتعالى عباده بالصلاة على رسولنا الأكرم والسلام عليه، فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ صلَّى عليَّ واحدةً يصلي الله عليه عشراً**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه أن يكتال بالمكيال الأوفى، إذا صلَّى علينا أهل البيت فليقل: اللَّهُمَّ صلِّ على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(٢).

ومن حديث رواه الطفيل بن أُبَيِّ بن كعب، عن أبيه، عند سؤاله رسول الله ﷺ: يا رسول الله إني أُكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي... قلت: أجعل لك صلاتي كلَّها؟ قال: (**إذاً تُكْفىٰ همَّك ويُغفرُ لك ذنبُك**»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه أبو داود في سننه.

(٣) رواه الترمذي، وهو حديث حسن.

فصلاتي على رسول الله ﷺ سرمدية دائمة ما دمت في هذه الحياة الدنيا إلى أن نلقى الله تعالى.

وأسأل الله تعالى أن ينميها ويُرْبيها ويكثرها ويضاعفها.

ولقد وضعت رسالة قيِّمة في ذلك أسميتها «تحفة الصلوات»، وهي تُقرأ في الجلسات والصلوات، فطالِعْها ففيها من الفوائد الغزيرة.

ونبيِّنا محمد عليه الصلاة والسلام هو الحبيب المجتبىٰ والنَّبي المرتضىٰ وهو الذي اصطفاه الله تعالى بالنبوة والرسالة، وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

فهو أكرم الرُّسل الكرام، وأفضل الأنبياء العظام، وأفضل المخلوقات وأعلى من الأرضين والسمٰوات.

وهو القائل عن نفسه ﷺ: **«أنا سيِّد ولدِ آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»**[1].

وهو ﷺ ذو الكرم والجود والندا والعطاء.

* * *

وآله خير كرام بررة ممودتي عدتي للآخرة

الشَرح

ثم أُصلي وأُسلم على آل نبينا محمد ﷺ فهم خير الكرام وهم البررة الأطهار الذين اكتملت صفاتهم وعباداتهم، وحازوا رفعة انتسابهم للنبي محمد ﷺ، حتى نالوا القدح المعلىٰ، والفضل المجلىٰ.

وآل النبي ﷺ حقيقة كما قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه، هم: «ثلاثة عيون، وجيم، وحاء، وهم: آل علي، وآل عقيل، وآل عباس، وآل جعفر، ومعهم آل حمزة، وآل حارث، فأولئك هم آل بيت النبي ﷺ»،

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وهم الذين تطبق عليهم الضوابط الشرعية، كوجوب الاحترام، والتقدير، والتعظيم، والإكرام، وواجب الإنفاق عليهم، وتحريم الزكاة عليهم، والكفاءة في عقودهم، وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بآل بيت رسولنا الأكرم وتؤخذ من مظانها.

وآل البيت رضي الله عنهم هم قدوتنا التي أوصى بها رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام.

كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

وهم كذلك عدتنا للآخرة الذين نتقرَّب بهم إلى الله تعالى.

* * *

مع صحبه ما غردت أطيار   وما سرتْ في ليلها أقمار

الشَرح

وكذلك أُصلي على أصحابه تبعاً كما صليت على آله تبعاً، وكما هو المتفق عليه من أهل العلم، فأصحابه هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المجادلة: ٢٢] لما قدموا من غال وثمين من أجل رفعة الإسلام ونصرة الدين، وكذلك استحقوا المدح بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩]، معيَّة محبة ورحمة وإخلاص وجهاد وعمل وعلم.

ورسولنا الأكرم قال: «**الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه**»[1].

---

(١) سنن الترمذي، وأحمد في مسنده.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أَحدِهم ولا نصيفه**»(١).

ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً؛ أي: لا فرضاً ولا نفلاً؛ لأن الثقة بهم إذا نزلت من القلوب ومحبتهم أُزيلت من النفوس كان هذا كله مدعاة للشك في الدين، وهذا غير جائز؛ لأنهم هم الذين نقلوا لنا الدين وكانوا على المحجة البيضاء التي تركنا عليها رسول الله ﷺ.

والصحابي هو إنسان رأى رسول الله وآمن به ومات مسلماً، وقد ابتلينا في عصر القرن العشرين بزلاقة اللسان على بعض الصحابة من الذين طمس الله قلوبهم وأذهب الحياء من وجوههم، فقد سوَّل لهم الشيطان أعمالهم، فنالوا من الصحابة الكرام تربُّصاً بالإسلام وأهله، وهذا دلالة على جهلهم الذي تمكن من قلوبهم ورسولنا الأكرم ﷺ قال عن أبي بكر ﷺ عندما سمع عليه كلاماً: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**» ـ مرتين ـ(٢).

فهو يعلمنا كيفية معاملة أصحاب رسول الله ﷺ ومن أحب أن يتبحَّر بهذا الموضوع فليراجع كتاب «الشفاء» للقاضي عياض ففيه كلام شافٍ.

وصلاتي هذه دائمة بدوام تغريد الأطيار الذي هو من عاداتها، وكذلك أتابع الصلاة والرضا عليهم ما دار الزمان دورته، وتتابع سريان النجوم والأقمار، صلاة طيبة صادقة إلى يوم أن نلقى الله تعالى.

* * *

(١) صحيح مسلم (٦٦٥١).

(٢) رواه البخاري.

وبعد... إن هذه العقيده في بابها وعلمها فريده
سميتها العقيدة الفخريه للحفظ والعلم بها حريه

الشَّرْح

أما بعد: فإنه من الواجب المحتم على العلماء أن يبذلوا جهدهم في الدعوة والإرشاد والتوجيه، ومن أول الواجبات التي ينبغي أن يبصروا المسلمين في دينهم هي العقيدة «عقيدة التوحيد» التي هي أساس سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهي أصل من أصوله.

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وهذه العقيدة التي زيّنتُها بهذا المتن الرائق اللطيف، هي مشاعل نور وهداية فريدة في بابها وعلمها.

وقد سميتها «العقيدة الفخرية» رجاء أن يكرمنا المولى بسببها في الآخرة بالفخر والنجاح ودخول الجنان.

وأسأل الله تعالى أن يكرم من يحفظها ويقرأها، وأن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وهي جديرة بالحفظ والمذاكرة والمطالعة.

فائدة: التعريف بالعقيدة:

العقيدة تقوم على أساس الفطرة التي يُولد عليها الإنسان، وهي عقيدة التوحيد: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠]، وهي توحيد الله تبارك وتعالى، منشئ الأكوان وخالق الإنسان.

كما أن التوحيد لله تعالى هو عقيدة وشريعة كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتي نزلت بها الشرائع كلها، منذ رسالة نوح عليه الصلاة والسلام، إلى أن ختمت برسالة خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ.

إن رسالة الإسلام هي رسالة التوحيد الخالص ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

فهو ﷻ واحد لا شريك له، ولا شبيه ولا نظير، متصف بصفات الكمال والجلال، مُنَزَّه عن صفات العجز والنقص، ولا إلٰه إلا الله؛ أي: لا معبود بحق سواه هو الخالق والرازق والمدبِّر لكل شيء سبحانه، وهو على كل شيء قدير.

❊ ❊ ❊

إيجازها في غاية البيان نافعة للقلب واللسان

الشَّرح

قلت: هذه العقيدة موجزة واضحة بيِّنة، لا لبس فيها، وقصدت فيها الاختصار لأنه كما قيل:

لكن من التطويل كلَّتِ الهمم فصار فيه الاختصار ملتزم

وهذه العقيدة نافعة للقلب تجعل فيه نوراً، وتملأ الصدر سروراً، وتحث المؤمن دوماً كي يلهج لسانه بذكر لا إلٰه إلا الله؛ لأنه ورد عن رسولنا الأكرم: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إلٰه إلا الله**»(١).

❊ ❊ ❊

قسمتها في خمسة أقسام حتى تكون غاية المرام

الشَّرح

وقد قسمت هذه العقيدة وتناولت فيها خمسة مواضيع، وذلك تسهيلاً لقارئها ومن أراد حفظها والاهتمام بها.

ومن البديهي أن المسائل العلمية، وخاصة ما يتعلق بالعقيدة، يحتاج إلى تبيين وتفصيل وتقسيم، وذلك أسهل للقراءة والحفظ والتعلُّم والدراية.

❊ ❊ ❊

(١) رواه الإمام أحمد والترميذي.

أول قسم للإلٰه الباقي   في صفة وكل فعل ذاتي

الشَرح

القسم الأول: إن علماء العقيدة قسموا في كتبهم المواضيع، فجعلوا قسما للإلٰهيات، وهذا الذي خصصته لصفات الله تعالى الباقي، وأفعاله وكل صفة ذاتية أزلية، خاصة بالمولى ﷻ، وسيأتي بيانها وتفصيلها وإيضاحها، مما يجب لله وما يستحيل، وما يجوز.

* * *

والثاني في نبوة المختار   وكل مرسل إلى الديار

الشَرح

والقسم الثاني: خصصته للنبوات وما يتعلق بالرسل، وما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز، وكذلك الفرق بين الرسول والنبي.

* * *

والثالث الآل الذين وصَّىٰ   فمن أحبهم ينال الأقصىٰ

الشَرح

القسم الثالث: خصصته لآل بيت النبي ﷺ والذين هم كسفينة نوح عليه السلام مَن ركب فيها نجا ومن ابتعد عنها هلك، وهم وصية الرسول ﷺ، ومن أحبهم نال أقصى الدرجات العلى.

اللَّهُمَّ اجعلنا منهم يا رب العالمين.

* * *

والرابع الصحاب ثم الأوليا   خامسها في حبهم قلبي انجلى

الشَرح

والقسم الرابع: خصصته لأصحاب النبي ﷺ الذين أخلصوا في

حبهم ودعوتهم وجهادهم ونقلوا لنا الدين من معينه.

والقسم الخامس: خصصته لأولياء الله تعالى الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

وهؤلاء أهل البيت والصحاب والأولياء ينجلي القلب ويستنير بمحبتهم والدوام عليها.

* * *

واللَّه ربي أسأل القبولا وأنْ أرى في الجنة الرسولا

الشَرح

وقلت: مؤملاً أن يتقبل ربي تبارك وتعالى مني هذا العمل المبارك.

ولي رجاء من الله تعالى أن يكرمنا بالجنة وأن نُلُقي فيها رسول الله ﷺ.

* * *

فارحم إلٰهي عبدك الصلاحا وكل من لاذ بها مرتاحا

الشَرح

قلت: وفوق هذا كله أرجو رحمة الله تعالى رحمة واسعة وهو الذي قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وحاشا له أن يقنط أحداً من رحمته، ولي أمل به ﷻ وأنا عبده الحقير الفقير المفتقر إلى رضاه أن يكرمني بكرمه ويكرم كل من أحبنا أو لاذ بنا، أن يكرمه المولى بصفاء القلب والروح والراحة في الدنيا والآخرة.

وقلت هذا البيت طمعاً، وثقة بالله تعالى وتفاؤلاً بالخير والعمل له والسير على نهجه.

* * *

وكـل مَـنْ حـفـظـهـا وأظـهـرا عـلا بـهـا فـوق الـثرى بـلا مِـرا

الشَّرْح

وكذلك أسأل المولى ﷻ أن يرحم ويكرم كل من حفظ هذه العقيدة وأظهر علومها وما احتوته من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، والوعد أن الله تبارك وتعالى سيعلي شأنه فوق الأرض وهذا لائق فيه ولا مراء.

* * *

والـحـمـد لـلَّـه خـتـامـاً مـثـل مـا بـدأتـه كـان الـعـظـام الـكـرمـا
إذ خـتـمـوا بـالـحـمـد والـصـلاة عـلـى الـنـبـي كـامـل الـصـفـات
والآل والـصـحـب الكـرام الـعـلـمـا وكـل مـن سـلـك درب الـحـكـمـا

الشَّرْح

وإنني أحمد الله العظيم في الختام على ما أولاني وأعطاني وأكرمني، حمداً طيباً مخلصاً مباركاً فيه، وذلك مثلما بدأت نظمي أولاً، وهذه المنقبة الحمد أولاً وآخراً مأخوذة من العظام العلما الكرما.

لأنهم كانوا إذا ختموا كتبهم وشروحهم وقصائدهم ختموها بحمد الله سبحانه وتعالى، والصلاة على النبي ﷺ لينالوا البركة في أوله وآخره.

وأُصلي وأدعو كذلك لآل بيت النبي ﷺ الذين تكحلت العيون بمحبتهم ومودتهم، وكذلك على أصحابه الذين نالوا شرف المدح ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والعلماء الذين بيَّنوا لنا منائر العلم وطريق المعرفة، وغاصوا في بحور الكشف فاستخرجوا الدرر والغرر، وكذلك أُصلي بالتبعية على كل من سلك دروبهم ونهجهم وقلَّدهم في العلوم والمعارف والمحبة والخير والمعروف.
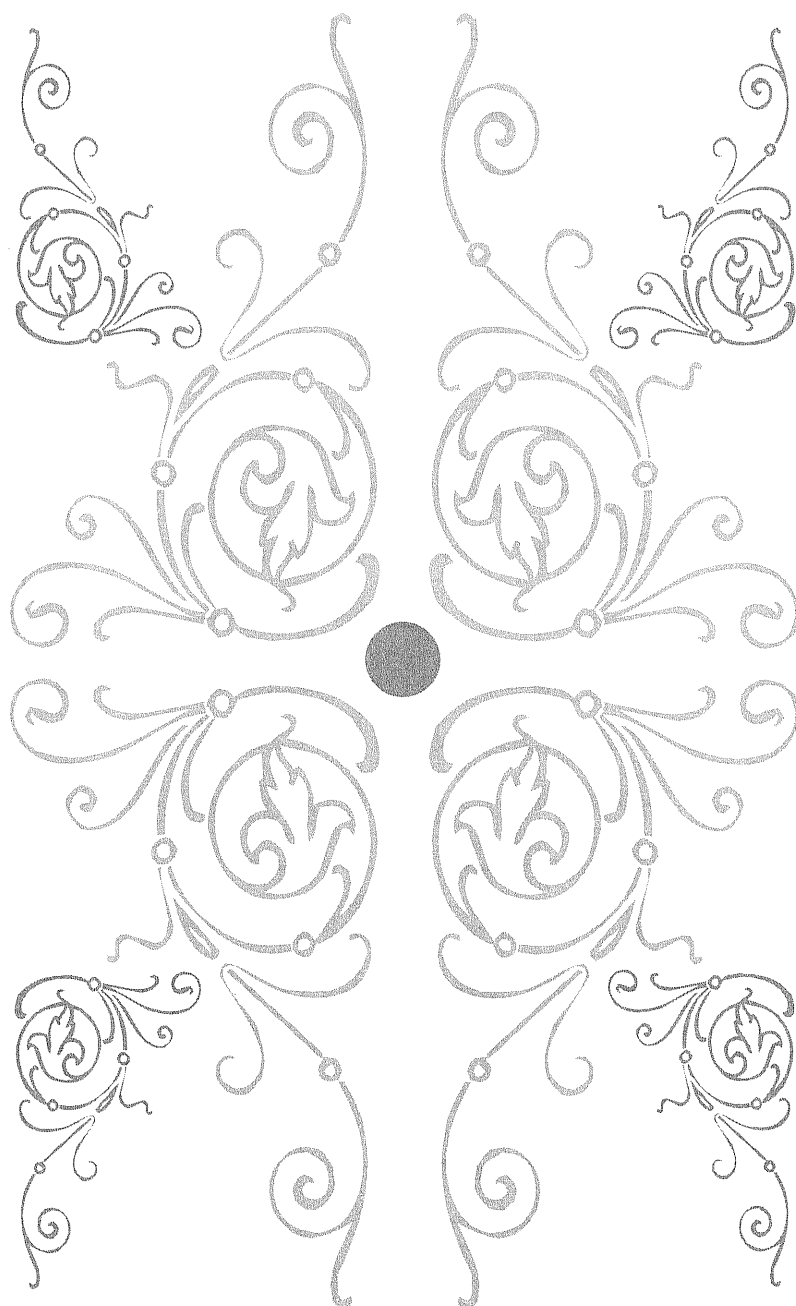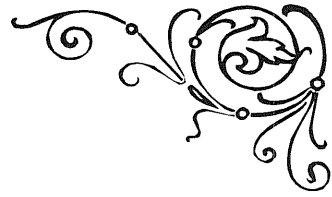
القسم الأول

صفات الله تعالى

اللَّهَ ربي واحداً أختارُ ... مَنْ لمْ يوحِدْهُ هوته النَّارُ
فانظر هُدِيْتَ إلى السماءِ فوقَنا ... وارضِنا ومَنْ يسيرُ تحتَنَا
ومَنْ يدُبُّ في السما والأرضِ ... فواحدٌ ليسَ لهُ مِنْ غضِ
أمثلةُ الوجودِ نفسُك التي ... بالذارياتِ كُنْ نبيهاً ترتقِ
فواجبُ الوجودِ ربُّنا الذي ... نعماؤه ظاهرةٌ حقاً وذي
واحدةٌ في حقهِ نفسيه ... بالعِلم والعرفان ذهْ حرِّيهْ
صفاتهُ الحياةُ والإرادهْ ... ضِفْ عِلْمَه وقدرةٌ مُرَادَهْ
كلامُه وسَمْعُهْ ثم البصرْ ... عن النبي قَدْ أتانا ذَا الخَبرْ
يقيننا أزلية قديمه ... من قال خلفاً يبتغي الهزيمهْ

صفات الله تعالى

▢ صفةُ القيام بالنفس:

الله تعالى مُستغنٍ عن كُلِّ ما سِواهُ، فلا يحتاجُ إلى أَحَدٍ من خَلقهِ، إذ الاحتياجُ للغير علامةُ الحدوثِ، والله منزَّهٌ عن ذلك، وكلُّ شيءٍ سوى اللهِ مُحتاجٌ إلى الله لا يَستغني عن اللهِ طرفَةَ عَين. قالَ تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال الإمام عليٌّ رضي الله عنه: «إن الله خلقَ العرشَ إظهاراً لقدرته ولَم يتخذه مكاناً لذاته».

والله تعالى لا ينتفعُ بطاعة الطائعين ولا ينضرُّ بعصيان العُصاة، فقد خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ في ستةِ أيام ليُعَلِّمنا التأني في الأمورِ، ولا يُصيبُه تَعَبٌ لأنه مُنَزَّهٌ عن التَّعَبِ، فالله موجودٌ بلا مكانٍ ولا جهةٍ لأنه ليس جسماً.

* * *

اللَّـه ربِّي واحداً أختارُ ... مَنْ لم يوحدْهُ هوتْه النارُ

الشَّرح

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مكلف بالغ عاقل، خالٍ من الأمراض الحسية من الإنس والجن، معرفة الله تعالى بأنه واحد لا شريك له، وهذا البحث من أشرف المباحث وأجلّها.

لذا سُمِّي هذا الفن «علم التوحيد».

واعلم أن الثابت بالأدلة الشرعية والعقلية ـ كما سيأتي بيانه ـ أنه لا

خالق سوى الله تعالى، وأنه هو الواحد الذي يستحق العبادة.

لذا يجب على كل مكلف أن يعتقد، ويؤمن ويوقن ويشهد أن لا إلٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له؛ أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى.

وأنه مستغنٍ عما سواه، مفتقر إليه كل ما عداه، واحد لا شريك له.

وهو الأول والآخر المنفرد في الربوبية، الصمد الذي يقصده كل المخلوقات لحوائجهم على الدوام، وذلك لكمال قدرته جَلَّلَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]؛ أي: لا شبيه ولا نظير، ولا ضد ولا ندّ له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

وهو مقدَّس ومنزَّه عن الزمان والمكان، ولا تعتريه الحادثات، كذلك يجب الإيمان بما جاء في كتاب الله تعالى من صفاته الجليلة، ونحملها أنها على مراده من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، كما سيأتي تفصيله.

كما أن الله تعالى وعد المؤمنين الموحدين بجنات تجري من تحتها الأنهار وأَوْعَدَ الكافرين الذين يشركون غيره في العبادة.

ولا شك أن هؤلاء وأمثالهم يقولون بربوبية هذا الغير، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فأولئك عاقبتهم النار والعياذُ بالله تعالى؛ لأنهم لم يوحدوا الله تعالى بالعبادة والإنابة.

● **الخلاصة:** **صفةُ الوحدانية**

الله تعالى واحدٌ لا شريكَ لَه؛ أي: ليس له ثانٍ، وليس مركباً مؤلفاً كالإجسام، فالعرشُ وما دونه من الأجرام مؤلَّفٌ من أجزاءٍ فيستحيلُ أن يكون بَينَهُ وبين اللهِ مشابهة، فلا نظير له تعالى في ذاته ولا في صفاتِه ولا في أفعاله، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فالله تعالى لو

لم يكن واحداً وكان متعدداً لم يكن العالَم منتظماً، لكن العالَم مُنتظَمٌ فَوَجَبَ أنَّ اللهَ تعالى واحدٌ. قال الإمام أبو حنيفة: «والله واحدٌ لا من طريقِ العَدَد ولكن من طريق أنه لا شريك له».

* * *

فانظر هديت إلى السماء فوقنا ... وارضنا ومن يسير تحتنا

ومن يدب في السما والأرض ... فواحد ليس له من غض

أمثلة الوجود نفسُك التي ... بالذاريات كن نبيهاً ترتقِ

الشَّرح

أيها المعتقد السائر على طريق الإيمان والهداية، انظر وأمعن النظر متفكراً بالسماء التي هي فوقنا، وما فيها من جمال المخلوقات، والأفلاك، والأقمار، والنجوم، والشمس، وإلى تعاقب الليل والنهار.

وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢].

وانظر وأمعن النظر متفكراً بالأرض التي تحوينا، والأنهار التي تروينا، والسماء التي تغطينا، والمعادن، والبحار، والنبات والحيوانات التي تعطينا، وغير الكثير من المخلوقات.

كل ذلك يدلنا على أن الله تعالى هو الخالق والمبدع، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

وانظر وأمعن النظر متفكراً إلى ما يسير تحتنا من البحار والأنهار وما تحويه من المخلوقات المتنوعة، من أسماك وغيرها. وتفكَّر بمن خلق هذه المخلوقات كلها وصنعها فأتقن صنعها ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

عند ذلك تجزم بأن الذي خلقها وصنعها هو الله تبارك وتعالى.

ثم انظر إلى نفسك وما فيها من روح ونفس وعقل وفهم وذكاء وجسد، من عينين ولسان وشفتين وقلب وأطراف رائعة.

وتصوَّر لو أن عضواً مكان عضو آخر، فكيف سيكون إذاً شكل هذا المخلوق الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، فهو تعالى صوَّرنا فأحسن صورنا، فله الحمد والمنة.

وعنيت ـ بالذاريات ـ كن منتبهاً، قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

أي: خَلْق الإنسان هو أكبر دليل على وجود الله تعالى ووحدانيته، وأن الله تعالى هو القادر على كل شيء، وهو الواحد المتوحد الواجب الوجود.

* * *

فواجب الوجود ربنا الذي نعماؤه ظاهرة حقاً وذي
واحدة في حقه نفسيهْ لعلمها وفهمها حريهْ

الشَّرْح

▫ الصفة الأولى: هي صفة الوجود:

قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

اعلم أن الله تعالى هو واجب الوجود، لا يماثل موجوداً (مخلوقاً) ولا يماثله موجود (مخلوق).

وهو سبحانه منزَّه عن التغيير والانتقال، والزوال، مستغنياً بكمال صفاته عن زيادة الاستكمال، لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه السمٰوات، فعَّال لما يريد، وأقرب إلى

العبيد من حبل الوريد، لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء مطلقاً، تعالى الله أن يحويه مكان، أو يمر عليه زمان، بل كان قبل خَلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان، ليس بجسم ولا هيكل ولا صورة.

كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

وهذه الصفة صفة الوجود عرَّفها العلماء بأنها صفة نفسية تتعلق بالله تعالى، يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها، وهي معرفة الله تعالى؛ أي: العلم بوجوده يقيناً، بأنه موجود من الأزل؛ أي: لا ابتداء لوجوده.

روى البخاري في الصحيح والبيهقي وأبو بكر بن الجارود عن عمران بن الحُصين؛ أن رسول الله ﷺ جاءه قوم من أهل اليمن فقالوا: يا رسول الله جئناك لنَتَفَقَّه في الدين ولنسألك عن بدءِ هذا الأمر ما كان، وفي لفظ: عن أول هذا الأمر، قال: «**كان الله ولم يكن شيءٌ غيرُهُ، وكان عرشُهُ على الماءِ، وكتَبَ في الذِّكرِ كل شيء**»، كان سؤالُهُم عن أولِ العالمِ ثم الرسولُ أجابَهُم بما هو أهَمُّ من ذلك وهو قوله: «**كان الله ولم يكن شيء غيرُهُ**»؛ أي: أن الله موجودٌ في الأزلِ لا ابتداءَ لوجودِهِ ولم يكن في الأزلِ معه شيءٌ؛ أي: لا زمانٌ ولا مكانٌ ولا أجرام.

● **الخلاصة:** **صفةُ الوجُود**

اللهُ تعالى موجودٌ أزلاً وأبداً. قال الله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]؛ أي: لا شك في وجوده فليس وجوده تعالى بإيجادِ مُوجِدٍ. والله تعالى موجودٌ لا يُشبِهُ الموجُوداتِ، موجودٌ بلا كيفٍ ولا مكانٍ كما قال الإمامُ عليٌّ رضي الله عنه: «كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان». وقال الإمام أحمد الرفاعي: «غايةُ المعرفةِ بالله الإيقانُ بوجوده تعالى بلا كيفٍ ولا مكان». فمعرفتنا نَحنُ بالله ليست على سبيلِ الإحاطةِ بل بمعرفةِ

ما يَجبُ لله من الصفاتِ كالعلم، ومعرفةُ ما يَستحيلُ في حقه تعالى كالشريكِ، ومعرفةُ ما يَجوزُ في حقِهِ سُبحانَهُ كإيجاد شيءٍ وإعدامِه.

فائدة:

قال أهل الحق والعلم:

الموجودات ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أزلي أبدي، وهو الله تعالى؛ أي: لا ابتداء لوجوده فلا أزلي حقيقة إلا الله تعالى. وفي البخاري: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**».

القسم الثاني: أبدي لا أزلي، وهو الجنة والنار بمشيئة الله تعالى.

القسم الثالث: لا أزلي ولا أبدي، وهو ما سوى الجنة والنار من المخلوقات، ويلحق بهما ما في الجنة من الحور العين والولدان المخلدون، وأما أزلي لا أبدي فهذا مستحيل.

الأزلي لا يكون إلا أبدياً، فالله تعالى أزلي أبدي بصفاته؛ أي: إن صفاته أيضاً أزلية أبدية.

● **خلاصة:**

وقد قسَّم العلماء الصفات الواجبة لله تعالى إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية.

١ ـ **فالثبوتية** قسمان: معانٍ، ومعنوية.

فالمعاني هي: ١ ـ الحياة، ٢ ـ والعلم، ٣ ـ والإرادة، ٤ ـ والسمع، ٥ ـ والبصر، ٦ ـ والكلام، ٧ ـ والقدرة.

والمعنوية هي: ١ ـ كونه حيّاً، ٢ ـ كونه عليماً، ٣ ـ كونه مريداً، ٤ ـ كونه سميعاً، ٥ ـ كونه بصيراً، ٦ ـ كونه متكلماً، ٧ ـ كونه قديراً.

٢ ـ **والسلبية** هي ضمن صفات:

١ ـ القدم، ٢ ـ البقاء، ٣ ـ المخالفة للحوادث، ٤ ـ القيام بالنفس، ٥ ـ والوحدانية.

- **والخلاصة:** أن الصفات التي تتعلق بالله تعالى عشرون صفة:

صفة نفسية واحدة، وهي الوحدانية	١
صفات المعاني	٧
الصفات المعنوية	٧
الصفات السلبية	٥
المجموع	٢٠

❊ ❊ ❊

صفاته الحياة والإرادهْ   ضِفْ علمه وقدرةً مرادهْ

الشَّرح

❑ صفة الحياة:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الحياة هي صفة من صفات المعاني الأزلية الأبدية التي تتعلق بالله تعالى، وهي صفة واجبة لله تعالى.

وقد عرَّفها العلماء بأنها الصفة التي تصح لمن قامت به صفات الإدراك، وهي من صفات الذات؛ أي: قائمة بالذات الإلٰهية ليست كحياة غيره التي فيها روح ولحم ودم وعصب... وتقتضي صحة وجود الصفات من العلم والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات الواجبة كما سأذكر لك.

أما في حقنا فقد ينتفي العلم مع وجود الحياة كما في حياة المجنون.

أما حياة الله تعالى لذاته، فهي ليست بروح ولا جسد، وحياتنا وجودها بسبب الروح.

ودليل وجودها: أن الله متصف بالصفات الأزلية؛ كالقدرة والإرادة والعلم، وكل من كان كذلك تجب له الحياة الأزلية.

والبرهان العقلي على كونه تعالى حيّاً: أنه لو لم يكن حيّاً لم يتصف بالقدرة والإرادة والعلم.

ولو كان الله تعالى غير متصف بهذه الصفات لكان متصفاً بالضد، وذلك نقص في حقه وهو جَلَّ جَلَالُهُ منزَّه عن النقص.

● **الخلاصة:** **صفة الحياة**

الله تعالى موصوفٌ بِحياةٍ أزليةٍ أبديةٍ، ليست بروحٍ ولحمٍ ودمٍ، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يستحيل عليه الموتُ؛ لأنه لو لَم يكن حيّاً لم يوجد شيءٌ من هذا العالَم؛ لأنَّ من ليس حيّاً لا يتصف بالقدرة والإرادة والعِلم، ولو كان الله تعالى غير متصف بهذه الصفات لكان متصفاً بالضِّد وذلك نقص والله مُنَزَّهٌ عن النقص. أما حياةُ المخلوقين فهي باجتماع الروحِ والجَسَدِ ولحمٍ وعظمٍ ودمٍ ويَدخُلُها التقطع، وأما حياةُ الله فكسائرِ صفاتِه لا يَدخُلها التقطعُ. قالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* * *

❐ صفة الإرادة:

وهي في اللغة تطلق على القصد.

وفي العرف: هي صفة أزلية قائمة بذات الله عَزَّ وَجَلَّ زائدة عليها، تخصص الممكن العقلي، إما بالفعل، أو الترك، على وفق علم الله تعالى.

وللإرادة تعلق صلوحي قديم، وهو صلاحيتها في الأزل للتخصيص.

وتعلق تنجيزي: وهو ثبوت التخصيص بالعقل أزلاً من جهة تخصيصها في علم الله تعالى واقعياً قبل خلقها على الشكل الحقيقي.

لذلك واجب على المؤمن أن يعتقد أن لله تعالى إرادة، فلو اجتمع الإنس، والجن، والملائكة، والشياطين، على أن يحركوا في هذا العالم ذرة دون إرادته، ومشيئته لعجزوا عن ذلك وما استطاعوا.

وإرادته (كما ذكرنا) قائمة بذاته ومن جملة صفاته، وقد أوجد الأشياء في أوقاتها حسبما أرادها في أزله من غير تقدُّم ولا تأخُّر، بل كانت، ووضعت على وفق إرادته وعلمه، من غير تبديل ولا تغيير.

● **الخلاصة:** **صفة الإرادة:**

الله تعالى موصوفٌ بالإرادة وهي بِمعنى المشيئة يُخصِّصُ الله بِها الممكن العقلي بصفةٍ دون صفةٍ، وهي واجبة له تعالى وشاملةٌ لجميع أعمالِ العباد الخير منها والشر. وقد ورد أنَّ النبي ﷺ علَّم بنته فاطمة رضي الله عنها أن تقول: «**مَا شَاءَ اللهُ كانَ ومَا لم يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**».

❊ ❊ ❊

❑ صفة العلم:

قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣].

والعلم هو صفة أزلية قديمة، قائمة بذات الله عز وجل، يعلم بها الأشياء تفصيلاً وإجمالاً من غير سبق خفاء على وجه الإحاطة والشمول.

والمعتقد أن الله تعالى عالم بجميع المعلومات ومحيط بما يجري

في الأرضين والسمٰوات، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السمٰوات.

يعلم ويسمع ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة الذر في الهواء، وما أظلت الزرقاء وأقلتِ الغبراء.

ويعلم السر وأخفى سبحانه وتعالى.

وهو جل جلاله يطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر، وكل ذلك بعلمه القديم الأزلي، لا بعلم مكتسب متجدد كعلوم البشر والمخلوقات.

وتفصيل ذلك وإيضاحه: أن علم الله تعالى شامل كل المعلومات، دقيقها وجلَّها على الانكشاف التام لا يسبق ذلك كله خفاء أو إبهام، ولا يتقدمه عدم معرفة، وعالم بدقائق الأمور والأحوال، بل سبق علمه كل معلوم، وكشفَ كل مخزون وباطن، فهو الظاهر يعلم ظواهر الأشياء، وهو الباطن يعلم باطن الأشياء، وكل ذلك على وجه الإطلاق من غير قيد أو تحديد، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾ [الشورى: ٩].

● **الخلاصة:** **صفةُ العِلم**

الله تعالى يعلم بعلمهِ الأزلي كلَّ شيءٍ، يَعلَم ما كانَ وما يكون وما لا يكون. قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣]، فعِلْمُ الغيبِ جميعهِ خاصٌّ بالله تعالى، أما بعضُ الغيب فإن الله يُطلِعُ عليه بعضَ خَلقِهِ وهُمُ الأنبياءُ والأولياءُ. ويكفر من يقول: إنَّ الرسولَ يعلم كلَّ شيءٍ يَعلَمهُ الله؛ لأنه جعل الرسولَ مُساوياً لله في صفة العلم. إنَّ من المقرَّر بين الموَحّدين أنّ الله تعالى لا يساويه خلقُه بصفةٍ من صفاته.

* * *

❑ صفة القدرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٣].

القدرة صفة أزلية لله تعالى ثابتة لذات الله، التي يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة. فالله حي قادر جبَّار قاهر، لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، صاحب الملك والملكوت، والعزة والجبروت، والسمٰوات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون بقبضته.

منفرد بالخلق والاختراع، متوحد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم، لا يشذ عن قبضته مقدور، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تُحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته.

والقدرة تتعلق بما يُجَوِّز العقلُ وجوده وهو الممكنات العقلية.

والمعتقَد أن لله تعالى قدرة يُوجِد بها ما يريد على وفق إرادته، ويعدم فيها كل ما يريد على وفق إرادته فهو تعالى على كل شيء قدير.

وقدرته تعالى لا يحيطها عجز ولا فناء، فهو المتفرد بالإيجاد والإعدام والخلق، والخلائق كلهم وما يقومون به من أعمال وأرزاق ومقدرات آجالهم بين قبضته وقدرته، أرواحهم تحت تصرفه وإرادته وقدرته، وقاهر لكل شيء لا يعجزه شيء عن شيء.

فالسمٰوات السبع وما أظلَّت، والأرضين وما أقلَّت، والجنة والإنس والشياطين والملائكة وكل ذرات هذا الكون في قبضته وتحت سلطانه، فهو على كل شيء قدير.

فالله تعالى موصوف بقدرة أزلية أبدية يؤثر بها في الممكنات؛ أي: في كل ما يَجوز في العقل وجوده وعدمه. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠]، فالله تعالى يستحيلُ عليه العجزُ؛ لأنه لو لَم

يكن قادراً لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لَما وُجِدَ هذا العالم.

* * *

كلامه وسمعه ثم البصر عن النبي قد أتانا ذا الخبر

الشَرح

▫ صفة الكلام:

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

وقد عرَّف العلماء صفة الكلام، وهو صفة أزلية وجودية ثابتة لله، قائمة بذاته تدل على كل معلوم ليس بحرف ولا صوت.

وكلام الله ﷻ موجود وقديم، ومخالف لكلام المخلوقين، متكلم فيأمرنا بالطاعات والعبادات، ومتكلم ينهانا عن المعاصي والموبقات، ومتكلم يعد الطائعين المؤمنين بالجنات، ومتكلم يوعِد الكافرين والعصاة بالعقوبات، وكلامه لا يشبه كلام المخلوقات مطلقاً، ولا يوصف بالحروف والأصوات، وأن الكلام المنزل بالقرآن الكريم والكتب السماوية كتبت بهذه الكيفية حتى نعلمها ونفهمها، إذ الحروف والكلمات والجُمل تذكر صفات للخلق، ولا يجوز وصف كلام الله بالحروف والكلمات والأصوات.

● **الخلاصة:** **صفةُ الكلام**

الله تبارك وتعالى مُتكلِّمٌ بكلامٍ أزليٍّ أبديٍّ لا يُشبِهُ كلامَ المخلوقين ليس لِكلامه ابتداء، ليس له انتهاءٌ، لا يطرأ عليه سُكوتٌ أو تَقطّع لأنه ليس حرفاً ولا صوتاً ولا لغةً، وأمَّا كلامُ المخلوقين فهو بِحرفٍ وصوتٍ وبالآلات. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾. وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «ويتكلم لا ككلامنا، نحن نتكلم بالآلات من المخارج والحروف والله متكلمٌ بلا آلةٍ ولا حرفٍ».

فالله سبحانه مُباينٌ؛ أي: غيرُ مُشابهٍ لجميع المخلوقات في الذات (أي: ذاتُه لا تُشبه ذواتِ المخلوقاتِ) والصفاتِ (فصفاتُه لا تُشبه صفاتِ المخلوقاتِ) والفعلِ (أي: فِعلُه لا يُشبه فِعلَ المخلوقات).

* * *

☐ صفة السمع:

السمع هو صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى، ثابتة له، تتعلق بجميع المسموعات.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

اعتقد أن لله تعالى صفة السمع وهي قائمة به تعالى، لا يعزب عن سمعه أصوات المخلوقات جميعها، دقيقها وجليلها، ولا تختلط عليه الأسماع، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا يحيط بها الجهل وعدم المعرفة، كما أن سمعه لا يحجبه ليل أو نهار أو حواجز، فهو سبحانه سميع من غير آلة الصماخ أو غيره، ويرى من غير حدقة أو ما يشبه ذلك، إذ هذه الأمور من عادة المخلوقين والله تعالى منزَّه عن ذلك كله، وهو السميع العليم.

والأصوات الحادثة يسمعها بسمعه الأزلي الأبدي الذي ليس لوجوده ابتداء ولا انتهاء بل هو باقٍ كسائر الصفات.

● **الخلاصة:** **صفة السمع**

الله تعالى يسمع بسمع أزلي كل المسموعات بلا أذن ولا آلة أخرى، وأما سمع المخلوقات فهو حادث مخلوق. قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

* * *

❐ صفة البصر:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

البصر هو صفة أزلية وجودية قائمة بالله تعالى، ينكشف بها كل موجود على ما هو به انكشافاً بيِّناً واضحاً.

إن الله تعالى تتعلق به صفة البصر، فهو يرى كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يستتر عنه شيء.

وإن الله تعالى القادر على كل شيء يبصر كل شيء، فبصره لا يشبه بصر المخلوقين، فهو تعالى يرى من غير حدقة ويسمع من غير صماخ.

ونحن نعتقد بذلك جازمين من صميم قلوبنا.

وليس بصره كبصر خلقه، إذ الخلق لهم عين وحدقة... وكل هذه الصفات ثابتة بالنقل الشرعي من الآيات والأحاديث التي أخبرنا بها رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك الأدلة العقلية تثبت لله تعالى تلك الصفات.

● **الخلاصة:** **صفة البصر**

الله تبارك وتعالى يرى الحادثاتِ برؤيتهِ الأزلية، وبصرُهُ لا يُشبِهُ بَصرَ المخلوقاتِ؛ لأنه سبحانه يرى كلَّ المُبصَرَات من غير حاجةٍ إلى حَدَقةٍ ولا إلى شعاعِ ضوءٍ، أما بَصَرُ المخلوقاتِ فهو بآلةٍ. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

فلا بد لمن أراد النجاة أن يتعلَّم عِلمَ التَّنْزيهِ تفهُّماً من أفواهِ أهلِ العِلمِ كي لا يقع في تشبيه الله بِخلقه.

* * *

ويلحق بذات ذي الصفات   بأنه باقٍ قديم الذات

الشَرح

صفة القِدم:

الله تعالى قديمٌ بمعنى: أنه لا بداية لوجوده؛ أي: أزلي؛ لأن الإلٰه لا بدَّ أن يكون أزليّاً وإلا لكان محتاجاً إلى غيره، والمحتاج إلى غيره لا يكون إلٰهاً وما سواه تعالى فهو حادثٌ مَخلوق. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال رسول الله ﷺ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ**»؛ أي: أن الله لم يزل موجوداً في الأزل ليس معه غيره، لا ماءٌ ولا هواءٌ ولا أرضٌ ولا سَمَاءٌ ولا عرشٌ ولا كرسيٌّ ولا ملائكةٌ ولا زمانٌ ولا مكانٌ، فهو الذي خلق المكان فليس بِحاجة إليه، ومن قال: العالَمُ أزلي بجِنسِهِ فقط أو بجنسِهِ وأفراده؛ فهو كافرٌ مكذِّبٌ لله ورسوله.

* * *

صفة البقاء:

اللهُ تعالى موجودٌ باقٍ إلى ما لا نهاية له، فلا يلحقه فَنَاء؛ لأنه لَما ثبت وجوبُ قدَمه تعالى وجب له البقاء، والبقاء الذي هو واجبٌ لله هو البقاء الذاتي؛ أي: ليس بإيجاب غيره البقاءَ له، بل هو يستحقه لذاته لا لشيء آخر، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٧]. وأما البقاء الذي يكون لبعض خلق الله كالجنة والنار الثابت بالإجماع فهو ليس بقاءً ذاتيّاً؛ لأن الجنة والنار حادثتان والحادث لا يكون باقياً لذاتِه، فبقاء الجنة والنار ليس بذاتِهما؛ بل لأن الله شاء لهما البقاء، فلا شريك لله في صفاته.

* * *

قلت:

وذاته لخلقه مخالفهْ   من غير شك تقتضي المخالفهْ
ونزّه الإلٰه عن كل مثل   من شَبَّه الإلٰه في العقل اختبل
وليس شيء مثله مؤكده   شورى الكتاب قد أتتنا مرشده

الشَرح

❑ مخالفته للحوادث:

إن الله تعالى قال في كتابه الكريم في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

لذا مما يجب اعتقاده بالنسبة لله تعالى مخالفته للحوادث، وهي عبارة عن سلب الجرمية والجسمية؛ لأنه من لوازمها (التمييز)، ومن لوازمها (أخذ جزء من هذا الفراغ الكوني)، (والعرضية) ومن لوازمها (القيام بالغير)؛ أي: أن العرض لا يقوم بنفسه، ولكن لا بد له من جسم يقوم به؛ كالخجل الذي يطرأ على الإنسان فيظهر احمرار الوجه دلالة على الخجل.

إلى غير ذلك من علامات وسمات الحوادث؛ كالفوقية والتحتية والجهات الأخرى، فهو سبحانه وتعالى ليس بجسم لأن كل جسم آخذ فراغاً من هذا الكون، وهذا محال على الله تعالى.

كيف يكون ذلك والله تعالى خالق الكون ومبدعه ومصوره، والله تعالى لو لم يكن مخالفاً لها لكان مماثلاً، ولو كان مماثلاً لكان حادثاً، كيف وقد سبق ثبوت قِدمه سبحانه والقِدم الأزلي ينافي الحدوث مطلقاً، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

فالواجب تنزيه الله تعالى عن مشابهته للحوادث والمخلوقات، وكل

من شبَّه الله تعالى بشيء من ذلك، فقد قاده عقله إلى الاختبال.

وهذه عقيدة أهل السُنَّة والجماعة لا يتطرق إليها الشك مطلقاً، والآيات والأحاديث أتت مرشدة ومعلمة الدنيا كلها، الواجب لله تعالى.

صفةُ المخالفةِ للحوادث:

الله تعالى مُتصفٌ بكل كمالٍ يليقُ به، وهو مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ؛ أي: ما لا يليقُ به تعالى؛ كالجهل والعجزِ والمكانِ والحيِّزِ واللونِ والحَدِّ. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي (المتوفى ٣٢٩هـ): «تعالى (يعني: الله) عن الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ ولا تحويه الجِهاتُ السِّتُّ كسائر المُبْتَدَعات»؛ أي: لا تحوي الله تعالى الجهاتُ السِّتُّ كما تحوي جميعَ الأحجام، إذ الأحجامُ لا تَخلُو عن التحيُّز في إحدى الجهات الستِّ؛ لأن الحجم لا بدَّ أن يكونَ في مكانٍ. إذن؛ الله موجود بلا مكانٍ ولا جهةٍ.

رؤية الله تعالى

والـلّـه حـقـاً فـي جـنـانـه يُـرىٰ بـالـعـيـن هـذا قـد رُوي بـلا مِـرا
ففي الكتاب ثابت وهو الصريح كما أتانا لا نُضام في الصحيح
رؤيـتـه كـمـا نـرى الـبـدر الـمـنـيـر بـه أتـىٰ نـبـيـنـا وهـو الـخـبـيـر
فـارزقـنـا ربـي نـظـرةً كـريـمـهْ مـع رؤيـة الـرسـول هـذا قـيـمـهْ
وتـنـضـر الـوجـوه فـي الـقـيـامـه ومـن يـقـل عـكـسـاً فـذا مـلامـه
فـاعـتـقـده صـادقـاً إذ لا غـضـا واجزم به مستيقناً كما مضى

* * *

قلت:

والـلّـه حـقـاً فـي جـنـانـه يُـرىٰ بـالـعـيـن هـذا قـد رُوي بـلا مِـرا
ففي الكتاب ثابت وهو الصريح كما أتانا لا نُضام في الصحيح

□ رؤية الله تعالى:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

إن الله تعالى يخبر صراحة في كتابه الكريم أن هناك في جنانه وجوه ناضرة مشرقة ناظرة إلى الله تعالى، والآيات الكريمات شاهدات على ذلك. كما أنه قد وردت أحاديث صحيحة عن رسولنا محمد ﷺ تثبت الرؤية يوم القيامة للمؤمنين.

وهذه هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في جواز رؤية الله سبحانه وتعالى في

الآخرة، حيث يراه المؤمنون في الجنة منزَّهاً عن الجهة والمكان.

وتكون الرؤية بقوة يضعها الله ﷻ لخلقه فيرونه وتكون هناك السعادة العظمى. وقد ورد في الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله ﵁ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، وقال: «**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**»[1].

وقد أعطى الإمام مالك ﵁ دلالة عقلية على ذلك فقال: لما حجب الله تعالى أهل الكفر والفسق عن رؤيته فلم يروه، تجلى لأوليائه حتى يروه، ولو لم يرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يُعَيِّر الكافرون بالحجاب. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

كما أن النظر إلى الله تعالى متفاوت من جهة العباد، فمنهم من يراه في الجنة دائماً، ومنهم من يراه في الأسبوع مرة، ومنهم من يراه في الشهر مرة، ومنهم من يراه في السنة مرة، وهكذا إلى أن لا يراه أهل النار أبداً.

* * *

فاعتقد به كما قد غبرا واجزم به مصدقاً لتعبرا
صراطَ ربي إذ وروده لزم فكل عبد وارد نصاً حتم

الشَرح

الاعتقاد بثبوت هذه الرؤيا أمر واجب شرعاً اعتقاداً جازماً، كما اعتقد أسلافنا الماضين الغابرين.

وهذا ما نعتقده ونجزم به، عسى أن نجاوز الصراط الذي يرده كل إنسان، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١].

---

(١) متفق عليه.

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [يس: ٦٦].

والصراط لغةً: هو الطريق الواضح لأنه يصرط المارّة؛ أي: يستلمهم.

وشرعاً: هو جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون حتى الكفار، كما أتى في الحديث: «**إنه أدق من الشعرة وأَحَدّ من السيف**».

وقال رسول الله ﷺ: «**يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً، وعلى جنبتيه ملائكة يقولون: اللَّهُمَّ سلِّم، اللَّهُمَّ سلِّم، فمن الناس من يمر مرَّ البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس، المجري، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما أناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون، فيكونون فحماً، ثم يؤذن في الشفاعة...**»[(١)].

ويكون جبريل عليه السلام في أول الصراط وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه، وعن علمهم ماذا عملوا به، والحكمة من المرور على الصراط، ظهور النجاة من النار للمؤمنين وتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور، والله تعالى أعلم وأعز وأكرم.

* * *

فارزقنا ربي نظرة كريمه مع رؤية الرسول هذا قيمه
وتنضر الوجوه في القيامه ومن يقل عكساً فذا ملامه

الشَّرح

اعتقادنا الثابت أن المؤمن في الجنة يرقب وينتظر الإكرام من الله تعالى ليمن برؤيته على المؤمنين، ويخصهم برؤيته يوم القيامة، وهذه

---

(١) متفق عليه وقد رواه بشرهما ألفاظ مختلفة.

النعمة الكبرى تكون - إن شاء الله تعالى - بصحبة النبي ﷺ، وعند ذلك تنضر الوجوه وتفرح النفوس، ناسيةً ما لاقته من عناء الحشر والنشر.

والرؤية كما ذكرنا ثابتة كتاباً وسُنَّة وعقلاً ونقلاً، ومن أنكرها فقد مال عن طريق الحق.

وقد ثبتت الرؤيا، لنبينا محمد ﷺ، يوم أن عُرج به إلى السمٰوات العلىٰ، وهذا ثابت لا شك فيه.

اللَّهُمَّ أكرمنا برؤياك وحُسن لقاك.

• **والخلاصة:** أن رؤية الله تعالى في الآخرة هي حق للمؤمنين، وهي حرمان وعذاب للمشركين، وهذا ثابت في سورة القيامة، إذِ الرؤية محققة لكل مؤمن بربه، موقن برسالة النبي محمد ﷺ.

وقد روى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنىٰ أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة ينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين**».

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم - أي: وجوههم - بلا تشبيه ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة».

وقال الإمام النسفي في «العقيدة النسفية»: ورؤية الله تعالى جائزة في الفعل واجبة بالنقل، وقد ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين لله تعالى في الدار الآخرة، فيُرى لا في مكان، ولا عن جهة من مقابل أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى.

آيات التشابه

عقيدة الإسلام خيرُ ما نما	في آية التشابه ثم كما
قال إمامنا أبو حنيفه	على مراده غدت منيفه
لا سيما أقواله المشهوره	في جل كتبه كذا منثوره
إيماننا على مراد اللَّه	مع الرسول قالها للَّه
أهل التقىٰ ومن كبار السلف	لا ملجأ إلا بذا فلتُعرف
فإن رأيت علة التشبيه	من أحد فأولن تنفيه
وفوض الأسلاف في الآيات	وأول الأخلاف للغايات
فمذهب الأسلاف قالوا أسلم	ومذهب الأخلاف قالوا أحكم

* * *

الشرح

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

إن الأئمة من الأسلاف الأخيار، يقولون: إن الآيات المتشابهات من القرآن، أو الأحاديث النبوية نؤمن بها على مراد الله تعالى ورسوله ﷺ وينزهون الله تعالى عن كل ما لا يليق به لا يشبهون ولا يعطلون، وقد ظهر جماعة في الغابر؛ كالمعتزلة والمجسمة وغيرهم يقولون بعكس ذلك.

ووقعوا في أخطاء كثيرة، مما اضطر علماء أهل السُّنَّة والجماعة إلى تأويل الآيات تأويلاً معقولاً ومقبولاً، وذلك تنزيهاً لله تعالى عما أثبته أهل الضلال، ولكي يعلم الناس أن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

وهذه العقيدة التي تتضمن تفويض تفسير الآيات المتشابهة إلى الله تعالى هي عقيدة السلف التي هي أسلم وأفضل.

وهذه أقوال الأئمة السابقون وعلى رأسهم أبو حنيفة النعمان وقد أوضحتْ وسطرت هذه العقيدة كتب الأحناف، وخاصة كتاب «المسايرة» للكمال بن الهمام وغيره.

فإذاً لا بدّ وأن نحمل الآيات على مراد الله تعالى ورسوله ﷺ، ولكن إذا تتطرق الشك في قلوب المخاطبين من العامة، وحصل تخوُّف من ذلك فلا بدّ إذن من تأويل الآيات تأويلاً فيه تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، وهذا مذهب الخلف، وهو أحكم وأحسن، والله تعالى أعلم وأعز وأكرم.

الإيمان بالقضاء والقدر

إيمانـنـا مـع الـقـضـاءِ والـقَـدرْ   مـحـتـمٌ قَـضَـاهُ ربـي لِـلـبَـشـرْ
فـيـغـفـرُ الـلّـهُ لِـمـنْ يَـشـاءُ   إلا لـمـشـركٍ فَـذَا الـشـقـاءُ
وكـلُّ ذِي الـمـعـانـي أمـرٌ ظَـاهـرٌ   فـي سـورةِ الـنـسـاءِ قـولٌ ظَـاهِـرُ
مـا شـاءَ ربـي كـانَ حـقـاً واقِـعـا   مـا لـمْ يَـشـأْ فـلَـنْ يـكـونَ واقِـعـا
قـد وَضَـحَ الـمـرادُ هـذا مـطـلـبـي   إنَّ فـي كـتـابِـنـا وكـلِ الـكُـتـبِ

* * *

إيـمـانـنـا مـع الـقـضـاء والـقـدر   مـحـتـم قـضـاه ربـي لـلـبـشـر

الشَـرْح

❑ الإيمان بالقضاء والقدر:

قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

إن أصل القدر سرّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع عليه ملك مقرَّب، ولا نبي مرسل.

فالله تعالى طوى علم القدر على أنامه ونهاهم عن مرامه، فمن سأل لِمَ فعل على وجه الإنكار فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب فهو من الكافرين.

والقدر هو تقدير الله تعالى للأشياء والمقدورات في القِدم، مع علمه بها سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وصفات مخصوصة،

وتحقيق ذلك ووقوعها على حسب مشيئته، وعلى حسب ما قدَّرها وخلقها.

والقدر على ثلاث مراتب:

١ ـ الإيمان بأن الله تعالى علم بما الخلق به عاملون وذلك بعلمه الأزلي الأبدي.

٢ ـ أن مشيئته النافذة لا يردها شيء، وقدرته لا يعجزها شيء، فجميع الحوادث وقعت بمشيئة الله وقدرته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

٣ ـ أن جميع ما قدر ووقع، كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ سواء كان المقدر دقيقاً أو جليلاً. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

● **والخلاصة:** أننا نعتقد أن الله تعالى هو الذي يقدر لكل مخلوق ما كتبه له أو عليه من رزق وأجل، وعمل وشقاوة أو سعادة ومن نفع وضر، وهذا قد قدَّره الله تعالى أزلاً فهو تعالى يفعل ما يشاء ويقدر ما يشاء، ولا يجوز لأحد أن يعترض أو ينكر مطلقاً، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقدر الله تعالى يقع على الخلق على موافقة علم الله الأزلي.

والقضاء يطلق لعدة أمور:

فتارة يُراد به الإعلام بوجوب الحكم الواجب؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وتارة يُراد به الأمر المبرم المحتم؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ [غافر: ٦٨].

والقضاء نوعان: قضاء معلَّق، وقضاء مبرم.

فالقضاء المبرم هو ما كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ لا يطلع عليه ملك مقرَّب ولا نبي مرسل، ولا بدّ من وقوعه، وبما أن الله أخفى

عنا قضاءه فقد أمرنا بالدعاء، فقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقد ورد في الحديث: «**لا يُرد القضاء إلا بالدعاء**».

أما القضاء المعلَّق: وهو الذي كتبه الله تعالى على عباده وربطه بكسبهم ليكون الكسب حجة لهم أو عليهم.

قال تعالى: ﴿...فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

فمثال ذلك: أن يقدر الله تعالى لعبده أمرين معينين، فإن تصدَّق مثلاً يضاعف له رزقه، وإن برّ والديه أو وصل رَحِمه أطال عمره ونسأ أجله، وإلّا فالأمر على عكس ذلك والله أعلم.

كما أنه إذا دعا العبد ربه التخفيف ويسأله التيسير في أمر ما، فإذا استجاب له فيكون ذلك على وفق ما يريده الله تعالى.

والقول الفصل: إن كل عمل نقوم به من الله تعالى خلقاً، ومن العبد كسباً، فالله يحاسبنا على هذا الكسب الاختياري الذي ملكنا إياه.

* * *

فيغفر الله لمن يشاء إلا لمشرك فذا الشقاء

الشَرح

إن الله تعالى يغفر لعبده التائب من الذنب، إلا إذا كان الذنب هو الإشراك بالله، والعياذ بالله تعالى.

لذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

والعبد العاصي الذي سلك طريق الشهوات ومشى في طريق الضلال، وأخذ من معاصي الدنيا وزلاتها وملذاتها، عليه أن لا ييأس من غفران ذنبه شريطة أن يتوب توبة صادقة نصوحاً.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

أما المشرك الكافر الذي جعل مع الله نداً وشريكاً، وعبد الأوثان والأصنام وغيرها، تاركاً عبادة الله تعالى، وذلك كسباً من العبد وفعله؛ لأنه لم يتبع ما أنزل الله تعالى بل اتبع وساوس الشيطان.

والحكمة كما ذكرها الغزالي في كتابه «روضة الطالبين وعمدة السالكين» قال: إن الله تعالى خالق الأفعال ومقدارها... والعبد كاسبها، فالعبد يعمل على العبادة والله يجازي عليها، ولولا نسبة هذه الأفعال خلقاً وكسباً لما سُمِّي عابداً ومعبوداً، فثبت أن العبد كاسباً، وأن الله تعالى خالق ومعبود.

* * *

وكلُّ ذِي المعاني أمرٌ ظَاهرُ في سورةِ النساءِ قولُ طَاهِرُ

ما شاءَ ربي كانَ حقاً واقِعا ما لمْ يَشأْ فلَنْ يكونَ واقِعا

قد وضَحَ المرادُ هذا مطلبي إنْ في كتابِنا وكلِّ الكُتبِ

الشَّرح

نحن نعتقد أن الله تعالى خالق جميع البشر، وخلق الإيمان والكفر والقضاء والقدر والخير والشر.

وقد أمر عباده بالطاعة ونهاهم عن المعصية، ووعدهم بغفران الذنوب والخطايا مهما ارتكبوا من الكبائر بعد التوبة كما تقدم.

وأمرهم باتباع الرسل والأنبياء الذين أتوا بعقيدة التوحيد وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ.

وأمرهم بعدم الإشراك به سبحانه وتعالى كما قال في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

فلا يغفر الله تعالى لمن جعل له ولداً أو شريكاً أو ندّاً، أو نباتٍ أو أصناماً يتقربون بها إلى الله بزعمهم؛ لذا قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن؛ لأنه هو سبحانه قدَّر المقدورات على أنواعها على بني البشر وربط رفعها أو وقعها بدعاء أو صدقة أو برٍّ أو صلة رحم، وكلٌّ بقضاء وقدر على التفصيل الذي مرَّ.

فكما ندفع قدر الجوع بقدر الأكل، وندفع قدر البرد بقدر اللباس، فكذلك قدر المقدورات ندفعها بالقربات، ونحن نفرّ من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذه العقيدة ثابتة في كتب أهل السُّنَّة والجماعة، وفي كل الكتب السماوية.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٥﴾ [لقمان: ٢٥].

الإيمان بالغيب

إيمـانـنـا بـالـغـيـب فـرض لازم　　بـمـا أتـىٰ بـه الـنـبـي الـحـازم
ولـن يـكـون كـامـل الإيـمـان　　مـن أنـكـر الـغـيـب مـن الـقـرآنِ
كـخـبـر الـدجـال والـمـهـدي　　ثـم طـلـوع الـشـمـس بـالـعـشـي
وإن عـيـسـى نـازل فـيـقـتـل　　خـنـزيـرهـم ثـم الـصـلـيـب يـكـسـر
فـيـلـتـقـي الـدجـال وهـو الـذي　　قـد حـذر مـنـه الـنـبـي الـعـربـي
وقـتـلـه عـلـى يـد الـمـسـيـح　　قـد جـاء ذا فـي خـبـر صـحـيـح
ونـار الـحـشـر تـدفـع الـنـاس إلـى　　أرض الـحـسـاب كـي تـكـون مـوئـلا
وآخـر الـزمـان يـرفـع الـقـرآن　　مـن الـصـدور جـاءنـا كـل الـبـيـان
عن النبي المصطفى زين الوجود　　قد هام قلبي وعلا فوق النجود

* * *

إيـمـانـنـا بـالـغـيـب فـرض لازم　　بـمـا أتـىٰ بـه الـنـبـي الـحـازم

الشَّرْح

□ الإيمان بالغيب:

إن الإيمان بالغيب والمغيبات التي أخبرنا الله تعالى عنها في كتابه وبلَّغنا إياها رسولنا الأكرم من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، ومنكرها خارج عن الملة وبعيد عن الإيمان.

وقد قال الله تعالى مادحاً المؤمنين بالغيب فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٢، ٣].

وهذا مما آتانا به رسولنا محمد ﷺ وأمرنا باتباعه. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. والغيب مما أخبرنا به وأرشدنا إليه.

* * *

ولن يكون كامل الإيمان من أنكر الغيب من القرآن

الشَرح

ومن المتفق عليه بين أهل العلم أن الإيمان بالغيب أمر محتم ولازم وواجب اعتقاده، ومن أنكره يكون مكذباً للقرآن ومرتبته ومؤداه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى.

وذلك لكثرة الأخبار الغيبية التي أتت بها نصوص الكتاب والسُّنَّة وهي غزيرة كثيرة.

* * *

كخبر الدجال والمهدي ثم طلوع الشمس بالعشي

الشَرح

وقد فرض الله علينا أن نؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، ويندرج تحت ذلك ويسير مع الإيمان بالغيب:

□ **خبر الدجال الذي أخبرنا رسولنا محمد ﷺ:**

وفي الحديث قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكر النبي ﷺ يوماً الدجال فقال: ألا إن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى كأن عينه عِنَبة طافية ـ الحديث ـ رواه البخاري.

□ **وكذلك طلوع الشمس من مغربها:**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

١ ـ طلوع الشمس من مغربها.

٢ ـ والدجال.

٣ ـ ودابة الأرض.

رواه مسلم.

وغير ذلك من الأمور المذكورة في المطولات.

فيجب الإيمان بها من باب الإلزام من قِبَل الله تعالى، لنعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الرسول حق وكلامه حق، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

وهذه الأمور الغيبية يحتمل وجودها عقلاً أو عدمها؛ أي: يتصور في العقل وجودها أو عدمها.

وبما أن الله أخبرنا بها من خلال رسولنا محمد ﷺ، فوقوعها حتم كالإيمان بها.

* * *

وإن عيسى نازل فيقتل خنزيرهم ثم الصليب يكسر
فيلتقي الدجال وهو الذي قد حذر منه النبي العربي

وقد ورد أنه ما من نبي إلا وحذَّر أمته من الدجال، وقال في الدعاء: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب النار، وعذاب القبر، وفتنة المحيا، وفتنة الممات، وفتنة المسيح الدجال.

والدجال هو رجل خلقه الله تعالى أعور، عينه اليمنى كأنها عنبة طافية، وذلك ليفتتن به ضعاف الإيمان، ومكتوب على جبهته كافر، لا يراها إلا المؤمن، أعطاه الله خوارق العادات، ولا يستطيع أن يضل أو يلبِّس على أقوياء الإيمان، وجعله الله فتنة وابتلاءً واختباراً. ومن صفاته: أنه يقول للسماء: امطري فتمطر، وللأرض انبتي فتنبت، ويؤتىٰ بغلام فيقطع رأسه ثم يعيده فيفتتن به كثير من الخلق، وكما

قيل: بيده جنة ونار، فمن دخل جنته فقد دخل ناره، ومن دخل ناره فقد دخل جنته، يطوف أقاصي الأرض إلا مكة والمدينة ويقف على مشارف بيت المقدس، ويلتقي به سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله.

وفي قتله قولان:

الأول: أنه عندما يرى سيدنا عيسى عليه السلام يذوب كما يذوب الملح في الماء.

والثاني: أن يطعنه بحربة في صدره فيقتله من ساعتها.

ومن الدقائق الغيبية والتي يجب أن نؤمن بها إيماناً ثابتاً، الاعتقاد بنزول سيدنا عيسى عليه السلام، وإنه سينزل في آخر الزمان من السماء ـ كما رفع إليها ـ حيث الاعتقاد الجازم أنه لم يُصلب كما يزعم البعض، ولكن شُبِّه لهم ذلك، وإنَّ شبهه الذي صُلب وهو الذي وشىٰ به.

والله تعالى قال في سورة الزخرف: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [٦١]؛ أي: نزوله هو علامة للساعة والقيامة.

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]؛ أي: بعد نزوله من السماء إلى الأرض وقبل موته، بحيث تصير كل الملل ملة واحدة.

وأما عن الكيفية التي ينزل بها والمكان، فينزل في دمشق وقيل: إنه يبقى في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له، ثم يموت كما يموت الناس، ويدفن في المدينة المنورة ويدفن بين النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وهذا رواه الطبراني من حديث عبد الله بن سلام، قال: يدفن عيسى ابن مريم عليه السلام مع رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهم.

كما أنه يحكم ويعمل بشريعة الإسلام بين الناس دون شريعة جديدة، كما أشار إلى هذا المعنى قوله ﷺ: «**لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي**».

* * *

وقتله على يد المسيح قد جاء ذا في خبر صحيح

الشَّرْح

كما أن قتل الدجال هو يكون على يد سيدنا المسيح عليه السلام، وقد وردت أحاديث متعددة عن رسولنا الأكرم وفي روايات متعددة، وأُلِّفت الكتب التي ذكرت ذلك مطولاً.

* * *

ونار الحشر تدفع الناس إلى أرض الحساب كي تكون موئلا

الشَّرْح

وورد أنه يوم الحشر تخرج نار من قِبَل المشرق تدفع الناس بعد قيامهم من قبورهم دفعاً، تبيت إذا باتوا، وتستيقظ إذا استيقظوا، وما زالت تدفعهم حتى يلتقوا جميعاً في أرض المحشر.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: ٤٧، ٤٨].

يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة، وما يكون فيه من الأمور العظام، فالجبال ينسفها الله نسفاً، فتصبح الأرض أرضاً ملساء لا اعوجاج فيها، وعندها يقوم الناس لرب العالمين ويقفون في أرض الحشر، ويوم الحشر والعذاب، حيث يحشر جميع الناس في منطقة واحدة هي الشام، وكلهم عراة، كما أتى في حديث النبي ﷺ، عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة** ـ أو قال: **العباد ـ حفاةً عراةً غُرُلاً بُهماً**»، قال: قلت: وما بُهماً يا رسول الله؟ قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك أنا الديَّان، لا ينبغي لأحد**

من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة»، قال: قلنا: كيف وإنما نأتي الله ﷻ حفاة عراة غرلاً بُهماً؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»[1].

ومع هذا لا يهتم الناس لهذا المنظر، إنما جميعهم يقول: يا رب إني لا أسألك أهلي ولا أمي ولا أبي ولكن أسألك يا رب نفسي فيعرق الناس من شدة الحر، وما يزال العرق يتصبب وماؤه يغيض فيغطي الرؤوس فتأتي الأم رضيعها وتضعه أرضاً وتقف عليه لتستنشق الهواء.

اللَّهُمَّ احفظنا في هذا اليوم من عذابك، واجمعنا يا رب مع أحبائك وأنبيائك.

* * *

وآخر الزمان يرفع القرآن من الصدور جاءنا كل البيان
عن النبي المصطفى زين الوجود قد هام قلبي وعلا فوق النجود

الشَرح

وورد أنه في آخر الزمان يرفع القرآن من الصدور والسطور فينساه الخلق ومن حفظه من الحُفّاظ والكُتّاب؛ ولأنه في هذا الوقت تكثر الخبائث ويعم الفسق والمجون، وهذا في آخر الزمان وانقضاء الأيام.

وهذه كلها أتتنا الأخبار عنها من رسولنا محمد ﷺ.

وإن القلب يهيم بحب النبي محمد ﷺ، كما أن حبه فوق كل حب حتى علا فوق كل عالٍ.

(١) رواه الإمام أحمد.

لا نُكَفِّر مسلماً

قدْ أبعدَ الرجال والأخيارُ كفراً لأمةٍ لها المختارُ
وأجمع الأوائل من بررهِ في فقه أكبر كذا المسايرةْ
من أهل قبلةٍ فلا نُكَفِّرُ مَنْ كان حقّاً بالتوحيدِ يجهرُ
ومَنْ يقولُ بالتكفيرِ مطلقاً في أي لفظٍ لَمْ يَكُنْ محقِّقَا
خيراً ولكن ساعياً للتفرقه فإنَّ قولَه يكونُ زَنْدَقَه
فإن بلفظٍ أو بفعلٍ أشكَلا فلا تكَفِّرْ مسلماً بهِ ولا
تَقُل به كما يقولُ الغيرُ بالكفرِ مطلقاً ففيهِ الضيرُ
وإن يكنْ في لفظهِ قَدْ صَرَّحا خروجُه عن دينهِ قَدْ وَضُحا
من أنكر المعلوم في الدين كفر قولاً وفعلاً واعتقاد مشتهر
قد قالَ ذَا محمدُ بنُ عابدينْ في دُرِّهِ ورَسمِهِ ذَا فاستبِنْ

* * *

قلت:

قد أبعد الرجال والأخيار كفراً لأمة لها المختار

الشَرح

اتفق العلماء قاطبة على إبعاد الكفر عن أمة نبينا محمدٍ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ولأن الكلام الذي يتلفظ به المسلم إن كان يحتمل التأويل المقبول والتفسير المعقول فنأول كلامه كي نبعده عن الكفر.

* * *

قلت:

قد أجمع الأوائل من بررهْ   في فقه أكبر كذا المسايرهْ

والإجماع قد تضافر وخاصة البررة الأوائل من الذين ألفوا في العقيدة، ومنهم الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر، والكمال ابن الهمام في شرحه «المسامرة في شرح المسايرة»، فلا نكفِّر أحداً بلفظ ما أمكن لنبعده عن النار والعذاب.

الردة؛ أي: قطع الإسلام بالكفر والعياذ بالله تعالى، وقد قسَّم العلماء الردة إلى ثلاثة أقسام كما قسَّمها النووي وغيره من شافعية وحنفية وغيرهم وهي: اعتقادات وأفعال وأقوال.

وقد استدلوا على هذا التقسيم بالقرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

فإن هذه الآية يفهم منها أن الكفر منه قولي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]؛ أي: لم يشكوا.

يفهم منه أن الكفر منه اعتقادي؛ لأن الارتياب؛ أي: الشك يكون بالقلب.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧]؛ يفهم منه أن الكفر منه فعلي.

وهذا التقسيم مُجمعٌ عليه، اتفق عليه علماء المذاهب الأربعة.

قد كثُر في هذا الزمان التَّساهل في الكلام حتى إنه يخرجُ من بعضهم ألفاظ تخرجهم عن الإسلام ولا يرون ذلك ذنباً فضلاً عن كونه

كفراً، وذلك مصداق قوله ﷺ: «**إن العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ لا يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً**»[١]؛ أي: مسافة سبعين عاماً في النزولِ، وذلك منتهى جهنم وهو خاصٌّ بالكفار.

هذا معناه: أن الإنسان قد يخرج من الإسلام من غير أن يقصد الخروج منه ومن غير أن يستبدل به ديناً غيره؛ أي: إن كان الشخص يعرف أن هذا القول الكفري الذي قاله كفراً أو لا يعرف، يُحكَمُ عليه بالكفر، إنما الشرط معرفة معنى اللفظ، وكذلك ليس شرطاً أن يعتقد بقلبه معنى هذا اللفظ؛ بل بمجرد أنه قال ذلك بإرادة وهو يفهم المعنى كَفَرَ وخرج من الإسلام.

* * *

قلت:

مـن أهـل قـبـلـة فـلا نـكـفِّـر مـن كـان حـقّـاً بـالـتـوحـيـد يـجـهـر

الشَّرح

ونحن لا نكفِّر أحداً من أهل القبلة طالما أن كفره لم يخرجه عن الإسلام والدين.

ولا يخرج المسلم عن الإسلام والدين إلا ما أدخله فيه من الأمور المعلومة والمعروفة عند الفقهاء والعلماء كما سيأتي.

* * *

قلت:

ومَـنْ يـقـولُ بـالـتـكـفـيـرِ مـطـلـقـاً فـي أي لـفـظٍ لَـمْ يَـكُـنْ مـحـقَّـقَـا

(١) رواه البخاري ومسلم.

خيراً ولكن سعيه ذا تفرقه   فإنَّ قولَه يكونُ زَنْدَقْه

الشَّرح

والذي يطلق التكفير عند أي لفظ يسمعه ولم يفهمه، أو لم يجد له تأويلاً عنده، لم يكن محققاً الخير لهذه الأمة ولم يقصد باب التحقيق وما سلكه العلماء، بل لم يرد الخير لهذه الأمة لأن انشغاله عما هو واجب يؤدي إلى التفرقة، وتسرُّعه في الحكم بالكفر يؤدي إلى الزندقة والعياذ بالله تعالى.

* * *

قلت:

فإن بلفظٍ أو بفعلٍ أشَكَلا   فلا تكفرْ مسلماً بهِ ولا

تَقُل به كما يقولُ الغيرُ   بالكفرِ مطلقاً ففيهِ الضيرُ

الشَّرح

فإن أشكل عليك لفظ أو فعل سمعته أو رأيته أو عاصرته، فعليك أن تطلق عنان التأويل كما تقدم.

وبعض الناس يسرع بالتكفير من غير روية ولا تفكُّر وربما ندم وعاد عن قوله.

والتكفير لا بدّ له من قيود وضوابط.

* * *

كذا قلت:

وإن يكنْ في لفظهِ قَدْ صَرَّحا   خروجُه عن دينهِ قَدْ وَضُحا

الشَّرح

وإن السامع إذا سمع لفظ الكفر الصريح والنطق به ولم يجد له

طريقاً للتأويل أو التفسير، والحق يقال: إن صاحبه خرج عن الملَّة بهذا القول أو الفعل أو الاعتقاد.

* * *

قلت:

من أنكر المعلوم في الدين كفر قولاً وفعلاً واعتقاداً مشتهر

الشَرح

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٧].

نعتقد أن من جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة بحيث يعرفه خواص المسلمين وعوامهم؛ كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا والخمر ونحوها، يقتل لأجل كفره وقتله يعتبر حدّاً ولا كفَّارة لذنبه كما في سائر الحدود، فإنها كفارات للذنوب، ويعتبر مرتدّاً كافراً بحكم الدين والشريعة، والكفر الذي يجر الإنسان به إلى الردَّة.

إما كفر قولي: وهذا يترتب عليه كل قول أو لفظ موجب للكفر، وألفاظ التكفير كثيرة.

وإما كفر فعلي: مثل: من يستهزأ ويستهين بالأحكام الشرعية أو السُّنَّة النبوية ويزدري أهلها ويقوم ويفعل ما يدل على ذلك.

وإما كفر اعتقادي: مثل: أن يعتقد في الله تعالى ما لا يجوز عليه أو برسول الله ﷺ بما لا يجوز عليه.

• **والخلاصة:** أن كل من ينكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة؛ فهو خارج عن الإسلام، مرتدّ عن دين الله، سواء نطق بذلك أو فعل ما يدل عليه، أو اعتقد ما يخالف عقيدة المسلمين بما يتعلق بالله تعالى أو رسوله ﷺ.

ومعلوم من الدين بالضرورة: أن كل من اعتقد بغير دين الإسلام ومات على ذلك فهو خالد في نار جهنم ولا يقبل منه عمل مهما كَثُر وعلا.

قلت:

قد قالَ ذَا محمدُ بنُ عابِدينْ   في دُرِّهِ ورَسمِهِ ذَا فاستبِنْ

الشَّرح

وهذا الذي تقدم قاله الإمام ابن عابدين في «متن عقود رسم المفتي» وكذلك ذكره في «الحاشية على الدر» للحصكفي.

وإذا أردت بيان ذلك وتوضيحه فهو موجود في هذه المطولات.

علامات الساعة وواجب التوبة

بالحشرِ والحسابِ والميزانِ ... كذا الصراطُ واجبُ الإيمانِ
جناتُ ربي هيئت للمؤمنين ... وكذا الجحيمُ هيئتْ للكافرين
ونارُه مخلوقةٌ يَقِينَا ... كذا الجِنانُ فاعتقدْ يقينا
عذابهُ للروحِ والجسمِ معا ... قَدْ قالَ ذَا الأخيارُ كن مقتِنَعا
ولن يموتَ أحدٌ قبلَ الأجلْ ... هذا هو خيرُ اعتقادٍ وأجلّ
من لم يعجلْ توبةً ثم مضى ... فأمرهُ للَّه فيه قد قضى
مَنْ مات فاسقاً فلا يُخلدُ ... في النارِ لكن قسطَه سيأخُذُ
إنْ فسقُهُ ببدعةِ التشبيهِ ... ففي السعيرِ خالداً تكويهِ
إن كانتِ الأعمالُ للباري فلا ... تعبأْ بشرٍّ أو بخيرٍ أقبلا
شفاعةُ المختارِ للأبْرارِ ... حتمٌ لمنْ أسرفَ في الكِبار
ومؤمنٌ يحتاجُ للشفاعهْ ... يومَ الأخير أشرفَ البضاعهْ
إذ أنَّه في الْجنةِ العَوالي ... يزدادُ رِفعةً فلا تمار

* * *

الشَّرح

□ وواجب الإيمان بيوم الحشر:

أي: نعتقد اعتقاداً جازماً أن الله تعالى سيحشر الناس جميعاً للحساب ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦].

ويسمى يوم الحشر، ويوم الجزاء، ويوم الدين، ويوم التغابن،

ويسمى اليوم الآخر؛ لأنه يأتي بعد آخر أيام الدنيا، ويلتقي فيه جميع الخلائق ثم إلى ربهم يحشرون، بعد انتقالهم من دار الفناء إلى دار البقاء.

فالبعث هو عبارة عن إحياء الموتى، والحشر سوقهم جميعاً إلى الموقف لفصل القضاء، ولا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الإنس والجن، وبين لا يجازى؛ كالبهائم والوحوش على ما صححه الإمام النووي رحمه الله، وأول من تنشق عنه الأرض نبيُّنا وسيدنا محمد ﷺ، وأول وارد للحشر، وأول من يدخل الجنة.

◻ وواجب الإيمان بالحساب:

أي: نعتقد اعتقاداً جازماً أن الله تعالى يعطي كل مخلوق كتابه، وهي التي تسمى الصحف، والكتب التي كتبت فيها الملائكة أعمال العباد وكل ما فعلوه في الدنيا.

وكل العباد يأخذون الصحف إلا الأنبياء والملائكة، والسبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ورئيسهم سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

وقال العلامة الباجوري: وأول من يعطى كتابه بيمينه مطلقاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد رضي الله عنه، وأول من يأخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد؛ لأنه أول من بادر النبي ﷺ بالحرب يوم بدر. اهـ.

◻ وواجب الإيمان بالميزان:

أي: نعتقد اعتقاداً جازماً بالميزان، وهو الآلة التي توزن بها صحف العباد. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وصفةُ الميزان كما ورد عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: «يوضع الميزان وله كِفتان ولو وضع في إحداهما السمٰوات والأرض ومن فيهن لوسعتهم».

❐ وواجب إيماننا بالصراط:

أي: نعتقد اعتقاداً جازماً بالصراط، وهو جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، ذاهبين إلى الجنة.

والصراط أدق من الشعر، وأَحَدّ من السيف.

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يس: ٦٦].

وفي الحديث: «**ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأُمَّتي أول من يجوز**»(١).

ومرور العباد على الصراط مختلف؛ فمنهم سالم بعمله، ومنهم يجاوز كطرف العين، ومنهم يمر كالبرق الخاطف، وبعدهم كالريح، وكالطير، وكالجواد السابق، وبعدهم سعياً، وبعدهم مشياً، وآخرهم حبواً، ومن لم يكن كذلك ـ نجّانا الله تعالى ـ فهو واقع في جهنم.

والحكمة من المرور على الصرط ظهور النجاة من النار، وتحسر الكفرة بفوز المؤمنين.

❐ وواجب الإيمان بالجنة:

أي: واجب علينا الاعتقاد جازمين بأن الله تعالى خلق الجنة وهيّأها للمتقين.

قال الله تعالى في حق الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وهذا باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة؛ أي: أن الله تعالى خلق الجنة

---

(١) متفق عليه.

وأعدّها وأوجدها فيما مضى، فهي موجودة حقيقة، خلافاً لمن قال عكس ذلك.

والجنة دار الثواب وعد الله حقّاً إن الله لا يخلف الميعاد.

وقال سيدنا عبد الله بن عباس: إنها سبع:

١ ـ الفردوس، ٢ ـ جنة عدن، ٣ ـ جنة الخلد، ٤ ـ جنة النعيم، ٥ ـ جنة المأوى، ٦ ـ جنة دار السلام، ٧ ـ جنة دار الجلال.

واحتج جماعة من العلماء أنها أربع: ١ ـ الفردوس، ٢ ـ عدن، ٣ ـ النعيم، ٤ ـ المأوى.

❏ وواجب الإيمان بالنار:

أي: واجب علينا الاعتقاد جازمين بأن الله تعالى خلق النار وهيّأها للكافرين.

قال الله تعالى في حق النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]. وهذا باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة، فإن الله تعالى خلق النار وأعدّها وأوجدها فيما مضى فهي موجودة حقيقة خلافاً لمن قال عكس ذلك.

والنار دار العقاب والجزاء، وهي طبقات.

قال العلَّامة الصاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعلاها **جهنم**: وهي لعصاة المؤمنين وتصير خراباً بعد خروجهم، وتحتها **لظى**: وهي لليهود. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [المعارج: ١٥]، ثم **الحطمة**: هي للنصارى، ثم **السعير**: وهي للصابئين فرقة من اليهود، ثم **سقر**: وهي للمجوس، ثم **الجحيم**: وهي لعبدة الأصنام، ثم **الهاوية**: وهي للمنافقين، وكل من اشتد كفره كفرعون وهامان.

❏ وواجب الإيمان بأن العذاب للروح وللجسد معاً:

أي: نعتقد اعتقاداً جازماً أن العذاب لمن عصى ربه ووقع عليه

عذابه ويكون للروح وللجسد معاً، وهذا مما ثبتت حقيقته بما ورد عن رسولنا الأكرم، وخاصة العذاب الواقع عليهم في القبور، ومنها:

• قولُه تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]؛ أي: يُعذَّبون في القبور في الصباح والمساء، فالمراد بالنار هنا: نارُ القبر، لا نارُ جهنم، بدليلِ قولِه تعالى بعده: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾. ومعلومٌ أن القيامة لم تأت بعد، فكيف يُخبرُ تعالى أنهم يُعرضون على النار، ويُعذَّبون بها؟ إنه بلا شك عذابُ القبر، لا عذابُ جهنم، فهي نارٌ قبل نار الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير: وهذه الآيةُ أصلٌ كبير، في استدلالِ أهلِ السُّنَّة على عذابِ البرزخ في القبور، وقولُه تعالى: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؛ أي: صباحاً ومساءً ما بقيت الدنيا.

• وكذلك قولُه تعالى عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥].

المرادُ بالنَّار هنا: (نارُ القبر) و(عذابُ البرزخ) لا نار جهنم؛ لأنها عُطفت بالفاء، والفاءُ في اللغةِ العربية، تفيدُ الترتيبَ مع التعقيب؛ لأن الإحراقَ جاءهم بعد الإغراق؛ أي: بسبب كثرة جرائمهم الشنيعة، أُغرقوا بالطوفان، وأُدخلوا مباشرةً ناراً عظيمة هائلة، هي (نار القبر).

• وقولُه تعالى عن الكفار الفجار: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

المرادُ بالعذاب الأدنى ـ أي: القريب ـ: عذاب القبر؛ لأن عذاب الآخرة لم يأتِ بعد، حيث لا يكون إلَّا يوم القيامة.

وهذا كله دلالة على عذاب الجسد والروح معاً.

◘ وواجب الإيمان بأن كل مخلوق ميت بأجله:

أي: واجب علينا الإيمان بالموت، ويقبض الأرواح ويخرجها من أجسادها ـ بإذن الله تعالى ـ ملك الموت.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ⑪﴾ [السجدة: ١١].

فالله تعالى هو الفاعل المميت الحقيقي، ولكن لما باشره ملك الموت بإذن الله تعالى أسند إليه، وأن كل من قضى عليه الله الموت حتى ولو كان مقتولاً فميت بعمره وأجله لا يتقدم ولا يتأخر، والقتل هو سبب من الأسباب. لذا قيل:

وميتٌ بعمرهِ منْ يُقتلُ وغيرُ هذا باطلٌ لا يُقبلُ

أما الزيادة في العمر في قوله ﷺ: «**من أحبَّ أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أجله فليَصِل رَحِمه**».

المقصود ـ والله أعلم ـ: إما زيادة البركة في عمره ورزقه، وإما لما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمره مثلاً سبعون، إلا أن يَصِل رَحِمه زيد له عشرة، وقد علم الله تعالى ما سيقع له في ذلك.

◘ حكم من لم يتب قبل موته:

ونعتقد أن من مات وهو مرتكب ذنباً من الذنوب التي لا تخرجه عن الإسلام وهي غير مكفرة، وهو غير مستحل لها ولا مستخفاً ولم يتب منها، فنترك أمره ونفوّضه إلى الله تعالى، مع أنه من الواجب على العاصي تعجيل التوبة إلى الله تعالى، وإلا فأمره إلى الله ﷻ، إذ الحكم لله ومرجعنا إليه، ونحن لا نقطع له بعفو ولا عذاب، بل هو في مشيئة الله تعالى.

◻ حكم الفاسق بعد الموت:

ومن مات فاسقاً عاصياً يأخذ قسطه من العذاب في النار ولا يخلد فيها، إلا إذا كان فسقه - والعياذ بالله - يؤدي إلى الكفر والضلال؛ كفعل الكبائر واستحلالها، أو شبَّه الله تعالى بشيءٍ من خلقه، فهو في السعير أبداً.

قال العلامة الصاوي: إن المكلفين: ١ - إما كافر وهو مخلد في النار، ٢ - وإما مؤمن لم يذنب قط كالأنبياء فهو في الجنة إجماعاً قطعياً، ٣ - وإما مؤمن تاب من ذنوبه، فهو في الجنة، وإما مؤمن مذنب لم يتب، والذنب من الكبائر، فمخلد في الجنة إما ابتداءً إن حصل له عفو أو شفاعة، أو بعد التعذيب بالنار على قدر الذنب الذي اقترفه، والله أعلم.

◻ جزاء الأعمال الصالحة:

إن الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمٰن: ٦٠].

وذكر كثيراً من الآيات التي تدل على العمل الصالح وجزاء بين يدي الله تعالى كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧].

فإذا عمل المؤمن الصادق الأعمال الصالحة في الدنيا، وكانت لوجهه الكريم جَلَّ جَلَالُهُ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً في الدنيا والآخرة.

ومهما مرَّت الظروف القاسية والعقبات المؤلمة، فإنها ستكون على من أخلص العمل لله تعالى برداً وسلاماً؛ لأنه يبتغي الأجر والثواب من الله تعالى.

▢ شفاعة سيدنا المختار للأبرار:

ونعتقد اعتقاداً جازماً أن الله ﷻ خصَّ رسولنا محمداً ﷺ من بين الرسل بالشفاعة العظمى، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي**»، فمن أنكر ذلك فقد أتى ببدعة وضلالة.

وقد ورد أنه حين يشتد الهول ويتمنى الناس الانصراف ولو إلى النار يُلهمون أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه، فيذهبون إلى سيدنا آدم عليه السلام فيعتذر لهم، فيذهبون إلى نوح عليه السلام فيعتذر لهم وهكذا، ثم يذهبون إلى سيدنا محمد ﷺ ويسألونه الشفاعة فيقول: «**أنا لها، أنا لها، أُمَّتي أُمَّتي**»، والحديث طويل وفيه: فيرفع رأسه، ويشفَّع في فصل القضاء، وحينئذ يفتح باب الشفاعة لغيره، وهذه الشفاعة العظمى، وهي مختصة بالنبي ﷺ قطعاً، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، فيحمده الأولون والآخرون.

قلت: وحديث الشفاعة في البخاري ومسلم.

فائدة: إن لسيدنا محمد ﷺ شفاعات عدة:

أولها: وهي أعظمها، شفاعته المختصة به للإراحة من طول الموقف، وتشمل أهل الموقف من مسلم وكافر.

ثانيها: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهي مختصة به ﷺ، كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى.

ثالثها: فيمن استحق دخول النار ألا يدخلها، وتردد الإمام النووي رحمه الله تعالى في اختصاصها به ﷺ.

رابعها: في إخراج الموحدين من النار، ويشاركه في هذه الأنبياء والملائكة والمؤمنون، وفصل القاضي عياض رحمه الله تعالى فقال: «إن كانت هذه الشفاعة لإخراج مَن في قلبه مثقال ذرة من إيمان اختصت به ﷺ، ولا يشاركه غيره وإلا شاركه فيها غيره». اهـ.

خامسها: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وجوَّز الإمام النووي رحمه الله تعالى اختصاصها به ﷺ.

سادسها: في جماعة من صلحاء أمته، ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات.

سابعها: فيمن خلد في النار من الكفار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة؛ كأبي طالب.

تنبيه: يُخفف الله تعالى العذاب عن أبي لهب إكراماً للنبي ﷺ.

قلت: تخفيف العذاب عن أبي طالب رواه البخاري ومسلم في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وتخفيف العذاب عن أبي لهب رواها البخاري.

لأنه أعتق جاريته ثويبة عندما بشَّرته بولادة سيدنا محمد ﷺ.

قال الإمام اللقاني في «جوهرته»:

وغيره من مرتضى الأخيار يَشْفع كما قد جاء في الأخبار

أي: ويجب أن نعتقد بأن هناك شفاعة لغيره ﷺ؛ كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والصالحين، وفي ذلك أحاديث مستفيضة متواترة كما قال الشيخ ابن أبو العز الحنفي رحمه الله تعالى، ويشفع على قدر مقامه عند الله سبحانه وتعالى في أرباب الكبائر كما جاء في الأخبار. من هذه الأخبار قوله ﷺ: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين أو أحد الحيين ربيعة ومضر...**»(١). فقد وردت أخبار عدة على ذلك، وهي مما أجمع عليه أهل السُّنَّة، وهذه الشفاعة تزيد المؤمنين رفعة عند الله تعالى. اللَّهُمَّ اجعلنا منهم يا رب العالمين.

---

(١) رواه أحمد.

قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً

إن رسولنا محمداً ﷺ ذكر لنا حديثاً رائعاً فتح فيه الباب على مصراعيه للتائبين الصادقين والراجعين إلى الله تعالى، والحديث هو:

عَنْ أَبِي سَعِيدْ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ**[١]**، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ**[٢] **أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ**[٣] **فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا**[٤] **مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ**»، قَالَ قَتَادَةُ:

---

(١) راهب: عالم أهل الكتاب.

(٢) نَصَفَ الطَّرِيقَ: هُوَ بِتَخْفِيفِ الصَّادِ؛ أي: بَلَغَ نِصْفَهَا.

(٣) اخْتَصَمَتْ: أي: من الخصومة.

(٤) قِيسُوا: انظروا المسافة بين المكانين.

فَقَالَ الْحَسَنُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ[١].

* * *

هذا الحديث فيه ذكرى وعِبَرة، وقد ألهمني الله ﷻ وأكرمني حيث نظمت حديث الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً وأكمل المائة:

بابُ الهدى للتائبِ منفتحٌ ... مِنْ غيرِ يَأْسٍ صدرهُ منشرحٌ

فإنْ كَبَا بذنبٍ أو معصيةٍ ... فربُنا غفارُ ذُو مرحمةٍ

فكمْ مريدٍ تابَ من بعدِ زَمَنْ ... ثمَّ رَقَا وكانَ غاليَ الثمَنْ

فشمرِ السواعدَ حتى تَجدْ ... وحصِّلِ الخيرَ المعينَ لِتَجِدْ

واذكرِ العَبدَ الذي قَدْ مَالا ... وعنْ طريقِ الحقِّ ثم صَالَا

تسعاً وتسعين وأيضاً قَتَلاَ ... وأكملَ المائةَ زاد الجَدَلاَ

فيغدقُ المولَى الكريمُ توبةً ... في قلبهِ يقصدُ فوراً قريةً

كيمَا يتوبُ بالذينَ تَابُوا ... ويسكبُ دموعَ مَنْ أنابُوا

ثمَّ لأمرٍ قدْ أرادَهُ الحكيمْ ... يدركُه الموتُ المحتمُ العميمْ

تأتي ملاكُ جنتهُ كي تأخُذَهْ ... تأتي مَلاكُ نَارِه كي تَجْذُبَهْ

فيقعُ الحوارُ بينهمْ كَمَا ... قدْ قدَّر المولى حكيمُ الحُكمَا

فيُرسلُ مَلاكاً هيئةَ الرجُلْ ... يَرْضَوْا بحُكْمِه وبالحقِّ يَقُلْ

قِيْسُوا خروجَ التائبِ منْ بَلْدَتِهْ ... كذا قياسُ توبتِه مِنْ موْتَتِه

فربُّنا مبدلُ الأحوالِ ... يفعلُ ما يريدُه بالحالِ

قرَّبَ بلْدَ توبةٍ حتى إذا ... قدْ أيقنُوا له الجنانَ يُحْتذَى

هذا الحديثُ فيهِ ذكرى وعِبَرْ ... لِمَنْ مَضَى في الذُّلِّ وقتاً وعَبَرْ

فلا تَكُنْ مِنْ رَحْمَةٍ قَنُوطَا ... لبيكَ عبدي منكَ ذا منوْطَا

إلى متى يا عَاصيَ الرحمٰنِ ... تَقْترفُ الذنوبَ والعِصيانِ

---

(١) نَأَى بِصَدْرِهِ: أي: نَهَضَ، ويَجُوز تَقْدِيم الأَلِف عَلَى الْهَمْزَة وَعَكْسه.

بلِ ارعوِ عن غيّكَ المقدامِ   تَلْقَ كريمَ النفسِ في القِيَامِ
نظمها الصلاح يا أهل الهدى   يَسألُ ربَّهُ الرَّجاءَ المُرْتجى

◻ من فوائد الحديث:

١ ـ مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس، ويحمل على أن الله تعالى إذا قَبِل توبة القاتل تكفَّل برضا خصمه.

٢ ـ فضل العالِم على العابد؛ لأن الذي أفتاه أولاً: بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني: فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودلَّه على طريق النجاة.

٣ ـ في الحديث إشارة إلى قلة فطنة الراهب؛ لأنه كان من حقه التحرُّز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً.

٤ ـ فضل التجوُّل من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك ـ يعني: رجوعه للمعصية ـ، إما لتذكُّره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضُّه عليه، ولهذا قال الأخير: «ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء»، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحول منها كلها.

٥ ـ أن باب التوبة مفتوح إلى أن يأتي الإنسان الموت، أو تطلع الشمس من مغربها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ

أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٧ ـ ١٨]، وفي الحديث: عَن ابن عُمَرَ عَن النبي ﷺ قالَ: «**إنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[٢].

فعلى المذنب أن يستيقظ من غفلته، ويفيق من سباته ونومه، ويبادر إلى التوبة؛ لأنه لا يدري متى يفاجئه الموت، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ﴾ [النساء: ٧٨]، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل: ٦١].

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم.
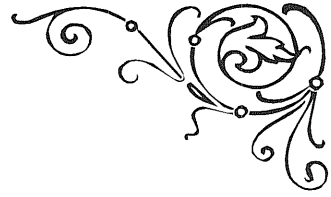
القسم الثاني

صفات الرسل عليهم السلام

بالحق ربي أَرسَلَ كُلَّ الرسُلْ	بالمعجزاتِ أَيَّدَ كلّاً فقلْ
فآدمُ أولُهم والآخرُ	محمدٌ وهو النبيُّ الفَاخِرُ
صفاتُهم صدقٌ أمانةٍ لزِمْ	تبليغُهم مع فطنَةٍ ذَا قَدْ عُلِمْ
وعكسُ ذي الصفاتِ لا تَمِلْ لها	ممتنعٌ في حقِّهِمْ وقُوعُها
وكلُّ مَنْ بغيرِ ذَا يقولُ	فقولُه ردٌّ فَذَا مَنْقُولُ

صفات الرسل

بالحق ربي أرسل كل الرسل   وبالمعجزات أيَّدَ كلاًّ فقل

الشَّرح

◻ الإيمان بالرسل:

حقٌّ علينا أن نؤمن إيماناً جازماً بالأنبياء والرسل صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

وإيماننا بهم على الإطلاق، ولا نفرق بين أحد منهم، وإرسال الرسل جائز في حق الله تعالى.

وثمرة إرسالهم ليكونوا حجة على الذين كفروا وضلوا، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

والعلماء لهم تعاريف متفاوتة لفظاً في الأنبياء والرسل، ولذا قيل: كل رسول نبيّ وليس كل نبيّ رسول.

والنبي هو إنسان حر ذكر عاقل، أتى بشرع من قبله وبلَّغه، والرسول هو إنسان حر ذكر عاقل، أتى بشرع جديد ينسخ ما قبله ومأمور بتبليغه.

ولذلك اعتبروا أن الرسول أعم من النبي.

والله تعالى اختار الرسل والأنبياء من أصفى قلوب البشر وأشدهم نجابةً، وأعطاهم علامات ومعجزات خارقة لعادات البشر، وذلك دلالة

على ما يقولونه ويفعلونه، وتصديقاً لهم من الله تعالى على رسالتهم للعباد.

فما من نبي إلا أيَّده الله تعالى بمعجزة باهرة واضحة؛ كالشمس في رابعة النهار لا يختلف فيها اثنان، كما سيأتي.

وهذا كله من فضل الله تعالى ومَنّه وكرمه.

* * *

فآدم أولهم والآخر محمد وهو النبي الفاخر

الشَّرح

فأول المخلوقات والأنبياء سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام، وهو الذي قال الله تعالى فيه آمراً ملائكته يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وآخر الرسل والأنبياء رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، الرحمة المهداة، والذي أرسله المولى رحمة للعالمين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي، ولا فخر، يطوف عليَّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون**»[1].

وهذا يدل دلالة واضحة بيِّنة على فضل نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

* * *

---

(١) رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له.

صفاتهم صدق أمانة لزم تبليغهم مع فطنة ذا قد علم

الشَرْح

إن الله تعالى خصَّ الأنبياء بصفات رفيعة عالية، فقد جعل الله ﷻ من صفاتهم وسماتهم:

١ ـ **الصدق**: فكل الأنبياء تجمَّلوا بالصدق في القول والفعل والعمل، وفي كل ما يقومون به مطلقاً.

ولو شك المرء لحظة بهم لوقع الشك في الشرع الشريف وفيما بلغونا إياه، وهذا محال في حقهم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣].

وقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم: ٤١].

٢ ـ **الأمانة**: ومن صفات الأنبياء والرسل الأمانة، وهي ملكة نفسانية تمنع صاحبها من الخيانة.

والأمانة تكون بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبُّس بمنهيٍّ عنه، فلا يمكن أن تتطرق إليهم الخيانة في نفوسهم وقلوبهم وأعمالهم وأفعالهم، كيف يكون ذلك وهم المؤتمنون على شرع الله تعالى.

٣ ـ **التبليغ**: ومن صفات الأنبياء والرسل أنهم مأمورون أن يبلغوا شريعة الله تعالى ولا يكتمونها، فيبلغون الخلق بما جاؤوا به من عند الله تعالى.

ودليل الوجوب: أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق لكتموا شيئاً من أوامر الله تعالى، وهذا عليهم محال.

٤ ـ **الفطانة**: ومن صفات الأنبياء والرسل أن الله تعالى جعل فيهم حدة الذكاء والفطنة والتيقظ، وذلك لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض حججهم في إقامة الحجة والبرهان عند المحاورة والمجادلة.

وفوق هذه الصفات الرائعة العالية الرفيعة خصَّهم الله ﷻ بالبشرية

والحرية والذكورية وكمال العقل والذكاء الخارق وقوة الرأي والنباهة، وكل خلق كريم.

وهذا يحتاج إلى تلك الصفات الرائعة.

قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [الأنعام: ٨٣].

* * *

وعكس ذي الصفات لا تمل لها ممتنع في حقهم وقوعها
وكل من بغير ذا يقول فقوله رد وذا منقول

الشَرح

الأنبياء والرسل صفاتهم الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة، ويستحيل عليهم عكس وضد هذه الصفات.

فالصدق: فيستحيل عليهم الكذب.

والأمانة: فيستحيل عليهم الخيانة.

والتبليغ: فيستحيل عليهم الكتمان.

والفطانة: فيستحيل عليهم البلاهة.

وقد ذكر العلماء أن هناك أمور جائزة في حقهم، مثل ما يجوز على البشر من الأكل والشرب والجماع وغيرها من الأمور الطبيعية المتعلقة بالبشر، كما أنهم يمرضون كما يمرض أي إنسان، ولكن لا يبلغ بهم المرض ليكون منفِّراً كما يزعم بعض الناس في حق الأنبياء.

وكل من يقول بغير هذه الأقوال التي مرت والعقيدة التي ذكرناها بحق الأنبياء والرسل، فهو خارج عن دائرة العلم والمعرفة، وقوله مردود عليه دون استثناء.

وهذا الذي ذكرته منقول عن شريعتنا الغراء التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيل من لدن حكيم خبير.

الرسول والنبي

ومَنْ برُتْبةِ الرسولِ يَتَّصِفْ	فشرعُه شَرعاً جديداً قَدْ عُرِفْ
لا يعتمدْ على شريعةِ الذي	قَدْ كانَ قَبْلَهُ وإنْ كانَ نبي
أما النبيُّ ربُّنا أوحىٰ إليه	بشَرْعِ قَبْلِهِ اهتَدى فضلاً إليهْ
ولم يُخالِفْ عالمٌ في هَذا	إلا الذي في فِكْرهِ قَدْ حاذىٰ
وكلُّهم قَدْ أُمِرَ التبليْغا	لقومِه بشرعِه جميعا

* * *

الشَرح

□ الرسول:

لقد اتفق أهل العلم والمعرفة أن من اتصف برتبة الرسول له ميزة خاصة خصَّهُ الله تعالى بشريعة جديدة يبلغها للناس ولقومه الذين بعث إليهم، وهذه الشريعة تنسخ شرع مَنْ قبله من شرائع الرسل والأنبياء.

□ النبي:

أما النبي فيوحي الله ﷻ إليه ليبلغ شرع من كان قبله دون شرع جديد، وقد اتفق العلماء على هذه التعاريف، ولم يخالف عن طريق الصواب متجهاً إلى جادة الخطأ والضلال إلا من ابتعد عن طريق العلم.

ويجب أن نعتقد أن الأنبياء والرسل متساوون في تبليغ ما أمروا

به، كلٌّ يبلِّغُ قومه في وقته وأوانه، ليكون التبليغ حجة على هؤلاء القوم يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ [الملك: ٨، ٩].

أسماء الرسل عليهم السلام

وقد ألهمني الله عز وجل فنظَّمت أسماء الأنبياء والرسل؛ لأن النظم أشد حفظاً وأوقع تمكيناً في الذاكرة.

أسماءُ رسُلِ اللَّهِ في القرآن ... خمسٌ وعشرونَ وذا بياني
آدمُ إدريسٌ ونوحٌ بالولا ... هودٌ وصالحٌ ولوطٌ قد تَلا
وإبراهيمُ نَجْلُهُ إسماعيلُ ... إسحاقُ يعقوبُ بلا مثيلُ
ويوسفُ شعيبُهم داودُ ... ثم سليمانُ عطاءُ جودُ
أيوبٌ ذا الكفل وبعدُ يونسُ ... إلياسُ واليسعُ وكلٌّ يُونِسُ
وزكريا ثمَّ يَحيى فاعْقِلا ... مُوسى وهارونُ وعيسى كمُلا
محمدٌ خاتمُ الأنبياءِ ... آمنتُ باللَّهِ وهمْ رَجَائي

وها أنذا أشرع في شرحها وتفصيلها وبيانها بالتسلسل، كما هو إرسالهم وبعثتهم، والله تعالى أعلم وأعز وأكرم.

* * *

قلت:

أسماء رسل اللَّه في القرآن ... خمس وعشرون وذا بياني
آدم إدريس ونوح بالولا ... هود وصالح ولوط قد تلا

الشَرح

إن الله عز وجل أرسل رسلاً كثيرة لا يعلمها إلا هو الذي أرسلهم وبعثهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨].

والإيمان بالرسل والأنبياء إجمالاً هو من عقيدة المسلمين الواجبة على جهة العموم.

أما على جهة الخصوص والتعيين فنؤمن برسل الله تعالى وأنبيائه الذين ذكرهم في القرآن الكريم.

وإليك التفصيل وذكر أسماءهم مع تتابع بعثتهم:

فالأول: سيدنا آدم عليه السلام.

والثاني: سيدنا إدريس عليه السلام.

والثالث: سيدنا نوح عليه السلام.

والرابع: سيدنا هود عليه السلام.

والخامس: سيدنا صالح عليه السلام.

والسادس: سيدنا لوط عليه السلام.

* * *

وإبراهيم نجله إسماعيل إسحاق يعقوب بلا مثيل

الشَرح

السابع: سيدنا إبراهيم عليه السلام.

الثامن: سيدنا إسماعيل عليه السلام.

التاسع: سيدنا إسحاق عليه السلام.

العاشر: سيدنا يعقوب عليه السلام.

* * *

ويوسف شعيبهم داود ثم سليمان عطاء جود

الشَّرح

الحادي عشر: سيدنا يوسف عليه السلام.

الثاني عشر: سيدنا شعيب عليه السلام.

الثالث عشر: سيدنا داود عليه السلام.

الرابع عشر: سيدنا سليمان عليه السلام.

* * *

أيوب ذا الكفل وبعد يونس إلياس واليسْعُ وكلٌّ يُونس

الشَّرح

الخامس عشر: سيدنا أيوب عليه السلام.

السادس عشر: سيدنا ذا الكفل عليه السلام.

السابع عشر: سيدنا يونُس عليه السلام.

الثامن عشر: سيدنا إلياس عليه السلام.

التاسع عشر: سيدنا اليسع عليه السلام.

* * *

وزكريا ثم يحيى فاعقِلا موسى وهارون وعيسى كملا

الشَّرح

والعشرون: سيدنا زكريا عليه السلام.

الحادي والعشرون: سيدنا يحيى عليه السلام.

الثاني والعشرون: سيدنا موسى عليه السلام.

الثالث والعشرون: سيدنا هارون عليه السلام.

الرابع والعشرون: سيدنا عيسى عليه السلام.

* * *

محمد خاتمُ الأنبياءِ آمنتُ باللَّهِ وهم رجائي

الشَرح

الخامس والعشرون: سيدنا محمد ﷺ.

والمسلم المؤمن عليه أن يؤمن بهم جميعاً فهم رجاؤنا يوم القيامة.

وقد قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [٨٣ ـ ٨٦].

وقد أشير إلى هذه الآية بأنها ذكرت اسم ثمانية عشر نبيّاً، وقد نظمها بعضهم فقال:

في تلك حجتنا منهم ثمانيه … من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
إدريسُ هودٌ وشعيبٌ صالحٌ … وذو الكفل آدم بالمختار قد خُتموا

وللفائدة: فقد نقلت أسماء الأنبياء والرسل ومكان وفاتهم وأعمارهم وكم مرة ذكر كل واحد في القرآن الكريم.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

١ ـ **آدم** عليه السلام (أبو البشرية): عاش (١٠٠٠) سنة، المشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط فيه بالهند، وقيل بجبل أبي قبيس في مكة المكرمة بعدما نقله نوح عليه الصلاة والسلام عند حدوث الطوفان ـ هو وزوجه

حواء في تابوت ـ ثم بعد ذلك دفنهما في بيت المقدس. هذا ما حكاه ابن جرير. وقد ذكر في القرآن الكريم (٢٥) مرة.

٢ ـ **إدريس** عليه السلام (أخنوج): عاش على الأرض (٨٦٥) سنة، ثم رفعه الله إليه، أدرك من عُمِر آدم (٢٠٨) سنة. وقد ذكر في القرآن الكريم (مرتان).

٣ ـ **نوح عليه الصلاة والسلام (شيخ المرسلين)**: لبث في قومه (٩٥٠) سنة، ثم بعد الطوفان لبث ما قدر له، قيل: إنه دُفن بمسجد الكوفة، وقيل: بالجبل الأحمر. والأصح أن قبره الشريف بالمسجد الحرام. وقد ذكر في القرآن الكريم (٤٣) مرة.

٤ ـ **هود** عليه السلام: عاش (٤٦٤) سنة، دُفن شرقي حضرموت على بُعد مرحلتين من تريم، في كثيب أحمر عند رأسه سمرة. وقد ذكر في القرآن الكريم (٧) مرات.

٥ ـ **صالح** عليه السلام: لم تذكر كتب القصص الفترة التي عاشها، إنما ذُكر أنه بعد هلاك قومه توجَّه مع من آمن بالله.

ـ قيل: إنهم أقاموا في ديارهم، ومنهم من ذهب إلى مكة، وماتوا وقبورهم غربي الكعبة.

ـ وقيل: إنهم توجهوا إلى الرملة بفلسطين وهو الأرجح، وقيل: إنهم توجهوا إلى حضرموت، ويزعمون أن قبر النبي صالح هناك، والله أعلم. وقد ذكر في القرآن الكريم (٩) مرات.

٦ ـ **لوط** عليه السلام: لم تذكر كتب القصص الفترة التي عاشها، كما أنه لم يذكر أن له قبراً في قرية (صوعر) التي لجأ إليها بعد هلاك قومه، والله أعلم. وقد ذكر في القرآن الكريم (٢٧) مرة.

٧ ـ **إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (أبو الأنبياء)**: عاش (٢٠٠) سنة، وقد وُلد بعد الطوفان بـ(١٢٦٣) سنة ودفن في المزرعة التي

اشتراها في (حبرون) بفلسطين، وفيها قبر زوجته الأولى سارة. وقد ذكر في القرآن الكريم (٦٩) مرة.

٨ ـ **إسماعيل** عليه السلام (الذبيح): عاش (١٣٧) سنة، دفن بجوار والدته بين الميزاب والحجر بالمسجد الحرام، مكة المكرمة. وقد ذكر في القرآن الكريم (١٢) مرة.

٩ ـ **إسحاق** عليه السلام: عاش (١٨٠) سنة، ودفن مع أبيه إبراهيم في مزرعة حبرون بفلسطين. وقد ذكر في القرآن الكريم (١٧) مرة.

١٠ ـ **يعقوب** عليه السلام (إسرائيل): عاش (١٤٧) سنة، توفي بأرض مصر وتنفيذاً لوصيته نقله ابنه يوسف إلى مزرعة حبرون في فلسطين. وقد ذكر في القرآن الكريم (١٦) مرة.

١١ ـ **يوسف** عليه السلام (الصديق): عاش (١١٠) سنين، مات بمصر ونقله إخوته تنفيذاً لوصيته ودفن بنابلس بأرض الشام، وذلك في زمن كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام. وقد ذكر في القرآن الكريم (٢٧) مرة.

١٢ ـ **شعيب** عليه السلام: لم تذكر كتب القصص الفترة التي عاشها، إنما ذكر أنه بعد هلاك قومه عاش مدة من الزمن إلى أن توفاه الله في الفترة بين وفاة يوسف ونشأة موسى عليهما الصلاة والسلام. وقد ذكر في القرآن الكريم (١١) مرة.

١٣ ـ **أيوب** عليه السلام (الصابر): عاش (٩٣) سنة، وذكر أنه دفن بجوار زوجته بقرية الشيخ سعد بأرض الشام قريباً من دمشق، والله أعلم. وقد ذكر في القرآن الكريم (٤) مرات.

١٤ ـ **ذو الكفل** عليه السلام (بشر): لم تذكر كتب القصص الفترة التي عاشها، إنما ذكر أنه ولد بأرض مصر وتوفي في أرض سيناء أيام التيه، وقيل: إنه دفن بجوار والده بأرض الشام، والله أعلم. وقد ذكر في القرآن الكريم (مرتان).

١٥ ـ **يونس** عليه السلام: لم تذكر كتب الفترة التي عاشها، كما أنه لم يرد أي خبر عن مكان قبره أو المكان الذي ذهب إليه عن قومه، والله أعلم. وقد ذكر في القرآن الكريم (٦) مرات، وقيل إن قبره في العراق في نينوى.

١٦ ـ **موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام (كليم الله)**: عاش (١٢٠) سنة، وتوفي بأرض التيه بسيناء بعد وفاة أخيه هارون بأحد عشر شهراً ودفن هناك. وقد ذكر في القرآن الكريم (١٢٦) مرة.

١٧ ـ **هارون** عليه السلام: عاش (١٢٢) سنة، توفي بأرض التيه بسيناء قبل أخيه موسى ودفن هناك. وقد ذكر في القرآن الكريم (١٩) مرة.

١٨ ـ **إلياس** عليه السلام: لم تذكر كتب القصص الفترة التي عاشها، وإنما ذكر أنه ولد بعد دخول بني إسرائيل فلسطين ولم يُعرف قبره، وقيل قبره في بعلبك لبنان. وقد ذكر في القرآن الكريم (٣) مرات.

١٩ ـ **اليسع** عليه السلام: لم تذكر كتب القصص الفترة التي عاشها، ولم يذكر المكان الذي اتجه إليه بعد عصيان قومه بمدينة (بانياس) من أرض الشام. وقد ذكر في القرآن الكريم (مرتان).

٢٠ ـ **داود** عليه السلام: عاش (١٠٠) سنة، ذكر أن ملكه دام (٤٠) سنة. وقد ذكر في القرآن الكريم (١٦) مرة.

٢١ ـ **سليمان** عليه السلام: عاش (٥٢) سنة، ذكر أنه ورث ملك أبيه وعمره (١٢) سنة ودام ملكه (٤٠) سنة. وقد ذكر في القرآن الكريم (١٢) مرة.

٢٢ ـ **زكريا** عليه السلام: عاش (١٥٠) سنة، ذكر أنه نشر بالمنشار على يدي من ذبحوا ابنه يحيى. وقد ذكر في القرآن الكريم (٨) مرات.

٢٣ ـ **يحيى** عليه السلام: لم تذكر كتب القصص الفترة التي عاشها، وإنما ذكر أنه وُلد في السنة التي وُلد فيها السيد المسيح وقد ذُبح عليه السلام وهو قائم في المحراب ظلماً وعدواناً تنفيذاً لرغبة امرأة فاجرة من قِبَل ملك

ظالم، كما ذُكر أن رأسه الشريف مدفون في الجامع الأموي بدمشق. وقد ذكر في القرآن الكريم (٤) مرات.

٢٤ ـ السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: عاش على الأرض (٣٣) سنة، ثم رفعه الله تبارك وتعالى إليه بعد بعثته بثلاث سنين، وذكر أن والدته البتول الطاهرة مريم عاشت بعده (٦) سنين ثم توفيت ولها من العمر (٥٣) سنة. وقد ذكر في القرآن الكريم (٢٥) مرة.

٢٥ ـ سيدنا محمد بن عبد الله (خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام): وُلد بمكة المكرمة سنة (٥٧٠هـ)، وانتقل عليه الصلاة والسلام إلى جوار ربه وهو في الثالثة والستين من عمره الشريف، ودُفن في بيت السيدة عائشة بالمسجد النبوي بعد أن أدَّى الأمانة وبلَّغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده. وقد ذُكر في القرآن (خمس مرات) صريحاً.

□ أماكن بعثة الأنبياء والرسل:

أولاً: جزيرة العرب.. وبعث فيها: (آدم ـ هود ـ صالح ـ إسماعيل ـ شعيب ـ محمد) عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً: أرض العراق.. وبعث فيها: (إدريس ـ نوح ـ إبراهيم ـ يونس) عليهم الصلاة والسلام.

ثالثاً: بلاد الشام وفلسطين.. وبعث فيها: (لوط ـ إسحاق ـ يعقوب ـ أيوب ـ ذو الكفل ـ داود ـ سليمان ـ إلياس ـ اليسع ـ زكريا ـ يحيى ـ عيسى) عليهم الصلاة والسلام.

رابعاً: مصر.. وقد بعث فيها: (يوسف ـ موسى ـ هارون) عليهم الصلاة والسلام.

معاني أسماء الأنبياء التي ذكرها العلماء استئناساً

١ ـ وهم آدم: سمي بذلك لأنه خلق من أديم الأرض ومعنى الأدمة الحمرة.

٢ ـ وإدريس: سمي بذلك لأنه أول من خَطَّ بالقلم ومن كثرة الدرس وقد رفعه الله مكاناً عليا في السماء الرابعة.

٣ ـ ونوح: سمي بذلك لكثرة بكائه على نفسه ونوحه وشفقته على قومه.

٤ ـ وهود: سمي بذلك ومعناه التائب العائد إلى الله وهو من الأنبياء الأربعة العرب.

٥ ـ وصالح: سمي بذلك لصلاحه وتقواه ومعناه الصلاح وهو من الأنبياء الأربعة العرب.

٦ ـ ولوط: سمي بذلك لأنه مأخوذ من التستر والتغطي والمتخفي.

٧ ـ وإبراهيم: سمي بذلك لعلوه وقوته لأنه أبو الأنبياء ولأنه بريء من عبادة الأصنام فهام فجمعوا الكلمتين فسمي إبراهيم.

٨ ـ وإسماعيل: سمي بذلك لأن الله سمع دعاء هاجر في وجود الماء ـ أي زمزم ـ فسمته إسماعيل أي سمع الله.

٩ ـ وإسحاق: سمي بذلك لأن أمه لما ولدته ضحكت أو هو ولد ضاحكاً وأسحق أي ضحك.

١٠ ـ ويعقوب: سمي بذلك لأنه أتى عقب إسحاق وسمي إسرائيل وإسرا المجاهد وأيل الله، أي المجاهد في الله تعالى.

١١ ـ ويوسف: سمي بذلك لأن أباه يعقوب سيبتلى أسفاً عليه حتى يأتيه الفرج وقد أعطي شطر الحسن.

١٢ ـ وشعيب: سمي بذلك لانشعابه عن قومه فيما يعبدون ولأنه فارقهم وهو من الأنبياء الأربعة العرب.

١٣ ـ وداوود: سمي بذلك لأنه كان محبوباً والوداد أي الحب الخالص.

١٤ ـ وسليمان: سمي بذلك لأنه مأخوذ من السلامة والسلام والأمان.

١٥ ـ وأيوب: سمي بذلك لاستقامته وهو الذي يطيع ربه ولصبره على البلاء الذي ابتلاه الله به.

١٦ ـ وذا الكفل: سمي بذلك لأنه تكفل لقومه أن يحكم بينهم بالعدل ويكفيهم أمرهم فسمي بذا الكفل.

١٧ ـ والياس: سمي بذلك لأنه دعا قومه ولم ييأس إلى أن أخذ الدعوة بعده اليسع وسعى في هدفه.

١٨ ـ واليسع: سمي بذلك لأنه أتى بعد سيدنا إلياس وسعى في الخلاص والإنقاذ.

١٩ ـ ويونس: سمي بذلك لإيناس ومحاسن أخلاقه وسمي ذا النون أي صاحب الحوت الذي ابتلعه.

٢٠ ـ وزكريا: سمي بذلك لأنه دائم الذكر ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم: ٢].

٢١ ـ ويحيى: سمي بذلك لأن الله أحياه بطاعته وعبادته وفيه معنى الفعل المضارع أي في الماضي والحال والمستقبل.

٢٢ ـ وموسى: سمي بذلك لأنه إنتشل من الماء ومعناه أيضاً منقذ.

٢٣ ـ وهارون: سمي بذلك لقوته لأن معناه جبل القوة.

٢٤ ـ وعيسى: سمي بذلك لأن وجهه كان مشرقاً ومعناه أن فيه الخلاص والنجاة وباتباعه ينال الناس الخير.

٢٥ ـ محمد: خاتم الأنبياء وسيد الكونين وسيد ولد آدم وسمي بذلك كي يحمده أهل السماء والأرض كما ورد: (أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي وأنا الحاشر وأنا العاقب).

وفي الحديث أربعة أنبياء من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر.

معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ومعجزاتُ الأنبيا تفوقُ حصراً وعدّاً كلُّ ذَا يضيقُ
وإنها خوارق العادات ظهورها على يد السادات
إذْ كلُّ رسلِ اللَّهِ جُنِّبوا الرَّدى بالمعجزاتِ أيدوا وبالهُدى
فأيد المولى النبيَّ محمداً بالمعجزات الباقيات أبدا
والأنبيا عصمتهم محتمةٌ وإنها من ربنا ومكرمه
كناقةٍ لصالح إذْ طَلعتْ من جبلٍ مع الفصيلِ اجتمَعتْ
والنار حقّاً لم تؤثِرْ في الخليلْ بل كان فيها سالماً وفي الظليلْ
داودُ أُوِّبَتْ له الجبالُ كذا الحديدُ لُينتْ أَوْصالُ
وملَّك الريح سليمان العتيد وسَخَّرَ الجِنَّ لهُ معَ العبيدْ
مِنْ مَسْحِ أعناقِ الخيولِ ذَبْحا لأنُّها قَدْ أشغلتْهُ وقْتا
موسى الكليمُ ضرب الأحجارا حتى غدتْ وبِالعصا أنهارا
بإذنه أحيا المسيح الموتىٰ إذ نطق القرآن فيه حقّا
ومعجزات الأنبياء تنقضي إلا الذي به القلوبُ تهتدي
في فضْلِه وعلمِه فقد حوى لبَّ الشرائعِ البديعةِ ارتَوى
منه بحورُ العِلم والمعارفِ كلُّ خطابٍ لا يُضاهي الأحرفِ
أحكامهُ صالحةٌ للبشرِ بل في الزمانِ والمكانِ فاحْصرِ

* * *

قلت:

ومعجزات الأنبياء تفوق حصراً وعدّاً كل ذا يضيق

وإنها خوارق العادات ظهورها على يد السادات
إذ كل رسل الله جنبوا الردى بالمعجزات أيدوا وبالهدى

الشَرح

إن الله تعالى أيّد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الباهرات، وهي تفوق حصراً وعدّاً والكلام يضيق ويتضائل لحصرها وعدّها، وهي كما مرَّ ذكره خوارق للعادات لا تُقاس بالعقل وذلك لتخصيصها بالأنبياء، وهم السادات عليهم صلوات ربي.

كما أن الله ﷻ حفظ الأنبياء والرسل من الأخطاء وجنبهم الردى والهلاك وأيَّدهم بمعجزاته وأنار بهم قلوب العباد بالهداية والإرشاد.

* * *

قلت:

فأيد المولى النبي محمداً بالمعجزات الباقيات أبدا

الشَرح

وإن الله ﷻ أيَّد النبي محمداً ﷺ بالمعجزات وأهمها المعجزة الباقية وهي القرآن الكريم كما مضى وذكرنا.

* * *

قلت:

والأنبيا عصمتهم محتمه وإنها من ربنا ذا مكرمه

الشَرح

وإن الله ﷻ عصم الأنبياء عصمة محتمة من الأخطاء، وهذه مكرمة من الله تعالى لأنهم المبلغون لدينه وشرعه.

قال الشاعر:

مَنْ ذَا الذي ما ساءَ قطْ ومن لهُ الحسنىٰ فقطْ

محمدُ الهادي الذي عليه جبريلُ هبطْ

* * *

قلت:

كناقة لصالح إذْ طلعت من جبل مع الفصيل اجتمعت

الشَرح

□ معجزة سيدنا صالح عليه السلام:

أرسل الله عز وجل صالحاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فطلبوا منه دليلاً على صدق ما جاء به، فأيَّده الله بمعجزة الناقة؛ حيث أخرج لهم من بين الصخور ناقة ضخمة، فآمن البعض، وظل الأكثرون على كفرهم وعنادهم، وعزموا على قتل الناقة، فحذرهم نبي الله صالح من أن يمسوها بسوء فيحل عليهم عذاب الله، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣].

فأنزل الله عليهم العذاب فأهلكهم بسبب كفرهم وقتلهم الناقة، حيث عقرها وقتلها قدار بن سالف، فكان السبب في هلاكهم.

وخروج الناقة من الجبل والصخر وطلوعها من بين ذلك معجزة خارقة كذَّب بها قوم صالح، فأذاقهم الله عذاب الخزي في الدنيا والآخرة.

* * *

قلت:

والنار حقّاً لم تؤثر في الخليل بل كان فيها سالماً وفي الظليل

الشَرح

□ معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

كان سيدنا إبراهيم عليه السلام لا يرضى عما يفعله قومه، فقد كانوا يعبدون الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، وذهب إبراهيم يوماً دون أن يراه أحد، فحطم الأصنام، فلما علم قومه أن إبراهيم هو الذي فعل ذلك أوقدوا له ناراً وألقوه فيها، لكن النار لم تحرقه، ولم تؤثر فيه حيث أمرها الله سبحانه وتعالى ألا تحرق إبراهيم؛ وجعلها برداً وسلاماً عليه. قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨ ـ ٧٠].

* * *

قلت:

داود أُوِّبتْ له الجبالُ كذا الحديد لينتْ أوصالُ

الشَرح

ومن المعجزات التي أيّد الله تعالى بها سيدنا داود عليه السلام أن آتاه الله العلم والحكمة، وسخَّر له الجبال يُسَبِّحنَ معه والطير، وأَلَانَ الله له الحديد.

وكان عبداً خالصاً لله تعالى وآتاه ملكاً عظيماً وأمره أن يحكم بالعدل.

* * *

قلت:

وملَّك الريح سليمان العتيد وسَخَّر الجن له مع العبيد

من مسح أعناق الخيول ذبحا لأنها قد أشغلته وقْتا

الشَرح

إن الله تعالى ملَّك سيدنا سليمان عليه السلام الريح غدوها شهر ورواحها شهر، وأَسَال له عين القطر أي المعادن بأنواعها وأشكالها، كما سخَّر الله تعالى له الجن والعبيد.

والمعجزات التي أعطاها الله تعالى لسيدنا سليمان عليه السلام لم يعطها لأحد من بعده.

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سخَّر له السيطرة على الشياطين ولكنه قال: «**لولا كلمة أخي سليمان: ربِّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من العالمين إنك أنت الوهاب، لربطت الشيطان في سارية المسجد وللعب بها صبيان المدينة**»، ومرة شغلته الخيل عن أداء صلاة العصر فذبحها ووزعها على الفقراء وأمر الجن بِرَدّ الشمس كي يصلي ولا يفوت الوقت.

والمعجزات لسيدنا سليمان عليه السلام كثيرة، منها:

١ ـ سخَّر له الريح تجري بأمره حيث أراد.

٢ ـ سخَّر له استخدام الجن والشياطين يعملون له ما يشاء.

٣ ـ أَسَال له عين القطر.

٤ ـ تكلم مع النملة وسمع كلامها، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩].

٥ ـ تكلم مع الحيوانات كالهدهد وغيره.

٦ ـ رَدَّ الله له الشمس.

مع هذا الملك عاش سيدنا سليمان عليه السلام اثنين وخمسين عاماً.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤].

* * *

قلت:

موسى الكليم ضرب الأحجارا حتى غدت وبالعصا أنهارا

الشَرح

□ معجزة سيدنا موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [طه: ١٧ ـ ٢٠]. لقد كانت العصا إحدى المعجزات التي أيّد الله بها موسى، فهزم بها سحرة فرعون بإذن الله، وبها خرج الماء من الحجر بإذن الله، وبها تحول البحر إلى أرض يابسة ليكتب الله النجاة للمؤمنين ويجعل العذاب على الكافرين.

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

* * *

قلت:

بإذنه أحيا المسيح الموتى ونطق القرآن فيه حقّا

الشَرح

□ معجزة سيدنا عيسى عليه السلام:

من معجزاته:

إنه كان يداوي الأبرص والأعمى ويحيي الموتى بإذن الله، وكان

يعمل تماثيل من الطين مثل الطيور، ثم ينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

نزول المائدة:

ومن معجزات سيدنا عيسى عليه السلام (نزول المائدة)، فقد طلب منه قومه أن يُنزل الله عليهم مائدة من السماء حتى يزداد إيمانهم، وألحوا عليه كثيراً في طلبهم، فحذَّرهم سيدنا عيسى عليه السلام من هذا الطلب، وحاول أن يصرفهم عن هذا الأمر، ولكنهم أصرُّوا على طلبهم، فأنزل الله عز وجل مائدة من السماء، لتكون معجزة لعيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٢ ـ ١١٥].

* * *

قلت:

ومعجزات الأنبياء تنقضي	إلا الذي به القلوب تهتدي
من فضله وعلمه فقد حوى	لبَّ الشرائع البديعة ارتوى
من بحور العلم والمعارف	كل خطاب لا يضاهي الأحرف
أحكامه صالحة للبشر	بل في الزمان والمكان فاحصرِ

الشَرح

إن المعجزات التي أيَّد الله تعالى بها الأنبياء تنقضي وتذهب بذهاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا معجزة النبي ﷺ وهي القرآن الكريم، فهي باقية إلى يوم الدين؛ لأن الخلائق كلهم ترتشف من علمه وفضله وتلاوته؛ لأنه حوى كل الشرائع ولُبَّهَا، وكذلك يرتوي منه العلماء وأهل المعرفة، وأحكامه صالحة للبشر زماناً ومكاناً.

ومهما تكلمنا عن فضله لا نوفيه حقه، حيث قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨] كما ذكرت سابقاً.

معجزات سيدنا محمد ﷺ

أعظمُها القرآن معجزُ البشرْ ... عمَّ الدُّنا وفضلُه قدِ انْتشَرْ
صُمُّ الحصى بكفِّه قَدْ سَبَّحا ... والجذْعُ حنَّ والبعيرُ أوضَحا
تفَجَّرَ الماءُ من الأصابعِ ... وكلَّمَ الضبَّ بِلا مُنَازِعِ
وعجنُه قليلَ خبزٍ فكفى ... ألفاً وخمسمائةٍ بالمصطفى
معراجهُ بروحِهِ مَعْ جَسَدِهْ ... ومَنْ يقولُ غيرَ ذا قَدْ جارَ به
إسراؤُه حقّاً فمن قدْ أنكَرا ... ففي السعيرِ خالداً شرّاً يَرى
عيناهُ إنْ نامتْ فلا يَنامُ ... في قلبهِ تَوافَقَ الأنامُ
حيٌّ طريٌّ بعدَ موتٍ قَدْ وَرَدْ ... وروضةٌ في قَبْرِهِ ذاكَ أسَدْ
قد جاءه الشيطانُ في صلاته ... أرْدى به الأرضَ على عِلَّاتهِ
قد طوى الأيامَ قائلاً بما ... إني أبيْتُ عندي ربي مَكْرَمَا
قد كانَ شيطانُ النبيِّ مجرمَا ... أعانَه المولى عليهِ أسْلَما
سُراقَةٌ في هجرةٍ قد تَبعَهْ ... جوادُه تحت الرِّمالِ سَمِعَهْ
أنقذني يا محمدٌ فقدْ وَعَدْ ... لباسَ كسرى يرتدي كَمَا وَعَدْ
قد شقتِ الأملاكُ قلب المصطفى ... حتى غدا منوراً فيه الوَفا
أشجارُ ربي شَهِدَتْ لهُ بِمَا ... قد جاءَ بالتوحيدِ ربُّ الكُرَما
وردُ العينِ بعدَ قلعٍ قدْ وَرَدْ ... قتادةٌ سرٌّ بدا فلا يُرَدْ
ثم انشقاق وانكسارُ القَمَرِ ... ذا ثابتٌ من غَيْرِ أدنى نَظَرِ
وغيرُ ذَا مما مضى فاعتَمِدِ ... كتابَ نبهانٍ وإذْ ذَاكَ خُذِ
فالمعجزاتِ كلها قدْ أوضَحَا ... دقيقها جليلَها وأفصَحا
رحمةُ المولى عليه سرمَداً ... ما شدا طيرٌ نهاراً أبداً

الشَرح

إن الله تعالى أرسل الأنبياء والمرسلين وقدَّم بين أيديهم معجزات، وتلك المعجزات ذهبت مع ذهاب الأنبياء والمرسلين إلا معجزة النبي ﷺ وهي القرآن الكريم فهي باقية إلى يوم الدين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

ومعجزات رسولنا محمد ﷺ كثيرة؛ لذا قال اللقاني:

ومعجزاته كثيرة غرر ومنها كلام اللّه معجز البشر

والمعجزة هي أمر خارق للعادة، وغالباً ما تكون من جنس ما برع فيه قوم النبي في ذاك الوقت، تظهر على يد من ادَّعى النبوة على جهة التحدي والإعجاز، حيث لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها.

وأعظم المعجزات التي أيَّد الله تعالى بها نبيَّه ﷺ هي القرآن الكريم.

لذلك نظمت معجزات النبي محمد ﷺ حسبما تيسَّر لي، وهاأنذا أشرح كل بيت منها من غير تطويل ممل ولا تقصير مخل.

* * *

قلت:

أعظمُها القرآنُ معجزُ البشرْ عَمَّ الدُّنا وفضلُه قد انتشرْ

الشَرح

□ القرآنُ الكريم عصمةٌ ونجاة للمؤمنين:

لقد ذكَّرَ القرآنُ العربَ في أكثرَ من موضع، بنعمة الكتاب المنزَّل بلسانهم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: ١٠]؛ أي: واللّهِ لقد أنزلنا عليكم يا معشر العرب، كتاباً عظيماً جليلاً، نيِّر البرهان ساطع البيان، فيه عزُّكم ومجدكم وشرفكم، أفلا تدركون هذه النعمة؟ وتعلمون أن هذا الكتاب المعجز؟ لا يمكن أن

يأتي به رجل أُمِّيٌّ كمحمد، إنما هو تنزيل الرحمٰن الرحيم، أنزله الله بأفضل اللغات وأشرفها (لغةِ العرب). ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]؛ أي: أنزلناه عليكم بلغة العرب، لكي تعقلوا وتدركوا نعمة الله عليكم، بنزول هذا الكتاب المجيد، وتعملوا بمقتضى أحكامه وإرشاداته، فهو الكتاب الفارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩]، ولقد نطق رسول الله ﷺ بكلمة الفصل، فقال عليه الصلاةُ والسلام: «**لقد تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضلُّوا بعدي أبداً: كتابَ الله، وسُنَّتي**»[1].

وإن الله ﷻ تحدَّى العرب أهل اللغة والفصاحة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فلا يستطيعون ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

وكذلك لا يستطيعون أن يأتوا بآية، أو عشر آيات أو سورة أو غير ذلك.

كما أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الباقية المحفوظة إلى يوم الدين، وهو خاتم الكتب السماوية، ليس له عصر معين في إعجازه ولا زمن معين في تحدِّيه للبشر كلها، وهو إعجاز لمن عاشوا قبلنا وإعجاز لعصرنا هذا، وإعجاز لمن سيأتي بعدنا، حتى تنتهي الدنيا ومن فيها.

قال سيدنا علي رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّهَا**

---

(١) رواه البخاري، وأحمد.

سَتَكُونُ فِتْنَةٌ»، فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١، ٢] **مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»(١).

▫ قصة إسلام الطفيل بن عمرو عند سماعه قراءة النبي ﷺ:

تشاور مشركو قريش.. كيف يمنعوا محمداً من دعوة الناس إلى الإسلام؛ خاصة وأن موسم الحج قد اقترب، وفيه يعرض الرسول ﷺ الإسلام على الناس، فاتفقت كلمتهم على أن يحذروا الناس من الاستماع إلى محمد. وكان فيمن وفد للحج والتجارة الطفيل بن عمرو الدوسي، رئيس قبيلة دوس، فحذروه من الاستماع إلى محمد، وزعموا أنه ساحر وشاعر، فكان الطفيل يضع قطناً في أذنيه خشية أن يستمع إلى النبي ﷺ.

وذات مرة ذهب الطفيل عند الكعبة، فوجد النبي محمداً ﷺ يصلي ويقرأ القرآن، وأبى الله إلا أن يستمع الطفيل إليه، فلما استمع، عرف أن هذا ليس بشعر ولا سحر، وكان الطفيل شاعراً، فلما انتهى الرسول ﷺ من صلاته تبعه الطفيل إلى بيته، وحكى له ما قاله المشركون له، ثم

---

(١) رواه الترمذي.

طلب منه أن يعرض عليه الإسلام، فلما استمع الطفيل إلى دعوة الإسلام، آمن بالله، وبرسوله وبالكتاب الذي أنزل معه، وكان إيمان الطفيل بركة من بركات القرآن، ثم ذهب الطفيل إلى قبيلته ودعاها إلى الإسلام.

فالقرآن الكريم: هو كلام الله ومعجزته الخالدة لنبيِّه محمد ﷺ، أنزله في أهل البلاغة فأعجزهم، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وتحداهم أن يأتوا بآية فعجزوا، وهو حبل الله المتين، فمن تمسَّك به نجَّاه، ومن اتَّبعه هداه إلى صراط مستقيم.

* * *

قلت:

صمُّ الحصى بكفه قد سبحا والجذع حنَّ والبعير قد شكا

الشَّرح

◻ تسبيح الحصى وحنين الجذع وأنين الجمل:

ومن جملة معجزاته ﷺ: تسبيح الحصى بكفِّه الشريف، وببركة معجزاته يسبحن بيد أصحابه: أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، لذا قال سيدنا أبو ذر رضي الله عنه:

كنت رجلاً ألتمس خلوات النبي ﷺ، لأسمع منه أو لآخذ عنه، فهجَّرتُ يوماً من الأيام، فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه في بيت، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس، وكأني حينئذ أرى أنه في وحي، فسلمت عليه فردَّ السلام، ثم قال: «**ما جاء بك؟**»، فقلت: جاء بي الله ورسوله، فأمرني أن أجلس، فجلست إلى جنبه، لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي، فمكثت غير كثير، فجاء أبو بكر يمشي مسرعاً فسلَّم عليه فردّ عليه السلام ثم قال: «**ما جاء**

بك؟»، قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار بيده أن يجلس، فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ بينه وبينها الطريق، حتى إذا استوى أبو بكر جالساً فأشار بيده، فجلس إلى جنبي، عن يميني، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك، وجلس إلى جنب أبي بكر على تلك الربوة، ثم جاء عثمان فسلَّم فردَّ السلام وقال: «**ما جاء بك؟**»، قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار إليه بيده فقعد إلى الربوة ثم أشار بيده فقعد إلى جنب عمر، فتكلم النبي ﷺ بكلمة لم أفقه أولها، غير أنه قال: قليل ما يبقين، ثم قبض على حصيات سبع أو تسع أو قريب من ذلك، فسبَّحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النخل في كف النبي ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبَّحن في كف أبي بكر كما سبَّحن في كف النبي ﷺ، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن فصرن حصاً، ثم ناولهن عمر فسبَّحن في كفه كما سبَّحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبَّحن في كفه نحو ما سبَّحن في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن.

ومن جملة معجزاته ﷺ: أنه ﷺ كان يخطب على جذع نخلة كي يراه الناس، فصنع له منبراً فترك الجذع ولم يقف عليه، فإذا بالصحابة الكرام يسمعون بكاءً كبكاء الأطفال والأولاد الذين فارقتهم أمهاتهم.

ويروي سيدنا أنس رضي الله عنه هذه الحادثة والمعجزة المتواترة:

قال سيدنا أنس رضي الله عنه: إن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر ذهب إلى المنبر فحن الجذع فأتاه واحتضنه فسكن فقال: «**لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة**»؛ يعني: الجذع الذي كان يخطب إليه.

وفي رواية عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة

فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس، فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه وكأنك قائم؟ فصنع له منبراً له درجتان، ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور، حتى ارتج المسجد حزناً على رسول الله ﷺ فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن ثم قال: «**أما والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله ﷺ**»، فأمر به رسول الله ﷺ فدفن[(١)].

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه؛ فإن لي غلاماً نجاراً؟ قال: «**إن شئتِ**»، قال: فعملَتْ له المنبر، فلمَّا كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشقُّ، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئنُّ أنينَ الصبيِّ الذي يُسكَّتُ حتى استقرَّت، قال: «**بكت على ما كانت تسمع من الذكر**»[(٢)].

أخرج الدارمي حديثاً عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فاتخذ له منبر، فلما فارق الجذع وعمد إلى المنبر الذي صنع له جَزِعَ الجذع، فحن كما تحن الناقة، فرجع النبي ﷺ فوضع يده عليه وقال: «**اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها،**

---

(١) قال في تحفة الأحوذي: قوله: (حن الجذع)؛ أي: صوَّت مشتاقاً إليه، وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها.

يقول الحسن البصري معلقاً: عجباً لكم! جذع يحن للرسول عليه الصلاة والسلام وأنتم لا تحنون. فضائل المدينة.

(٢) رواه البخاري.

فيحسن نبتك وتثمر، فيأكل أولياء الله من ثمرك»، فسُمع النبي ﷺ وهو يقول: «**نعم قد فعلت**» مرتين، فسُئل النبي ﷺ فقال: «**اختار أن أغرسه في الجنة**». تعليق رواه الدارمي.

* * *

ومن جملة معجزاته ﷺ حنين الجمل وشكايته، **فقلت:**

.... **والجذع حن والبعير قد شكا**

الشَّرح

وقد ذكر لنا سيدنا عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما حديثاً قال فيه: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس قال: وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً أو حايش نخل فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنَّ إليه، وزرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفرته فسكن فقال: «**من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟**»، قال: فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: «**ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه**»[(١)].

وفي رواية أخرى وحادثة أخرى مع جمل آخر، يحدثنا سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أهل البيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وإنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه (أي: نستقي عليه) وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا**»، فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله، إنه قد

(١) رواه أبو داود.

صار مثل الكلب وإنا نخاف عليك صولته، فقال: «**ليس عليَّ منه بأس**»، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط، حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه: هذه البهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن أحق أن نسجد لك، فقال: «**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر**». رواه الإمام أحمد.

* * *

قلت:

تفجر الماء من الأصابع   وكلم الضب بلا منازع

الشَرح

ومن جملة معجزاته ﷺ: تفجُّر الماء من بين أصابعه وذلك يوم الحديبية؛ حيث يحدثنا سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما على ما حدث يوم الحديبية، فقال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة[1]، فتوضأ، فجهش[2] الناس نحوه، فقال: «**ما لكم؟**»، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، ولما سئل جابر رضي الله عنه عن عددهم في ذلك اليوم قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[3].

كما أن المعجزة التي تكلم فيها الضب، يحدثنا عنها سيدنا عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في حديث مرفوع قال: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ

---

(١) ركوة: إناء من جلد.

(٢) جهش: أسرع.

(٣) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

بَنِي سُلَيْم، قَدْ صَادَ ضَبّاً وَجَعَلَهُ فِي كُمِّهِ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَرَأَى جَمَاعَةً، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ؟، قَالُوا: عَلَى هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَشَقَّ النَّاسَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا اشْتَمَلَتِ النِّسَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَكْذَبَ مِنْكَ وَلَا أَبْغَضَ، وَلَوْلَا أَنْ تُسَمِّيَنِي قَوْمِي عَجُولاً، لَعَجِلْتُ إِلَيْكَ فَقَتَلْتُكَ فَسَرَرْتُ بِقَتْلِكَ النَّاسَ جَمِيعاً، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْحَلِيمَ كَادَ يَكُونُ نَبِيّاً؟**».

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لا آمَنْتُ بِكَ، وَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَعْرَابِيُّ، مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ بِأَنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ، وَقُلْتَ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَمْ تُكْرِمْ مَجْلِسِي؟**»، قَالَ: وَتُكَلِّمُنِي اسْتِخْفَافاً يَا مُحَمَّدُ؟! وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لا آمَنْتُ بِكَ، أَوْ يُؤْمِنُ بِكَ هَذَا الضَّبُّ؟! فَأَخْرَجَ ضَبّاً مِنْ كُمِّهِ، وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقَالَ: إِنْ آمَنَ بِكَ هَذَا الضَّبُّ آمَنْتُ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا ضَبُّ**»، فَتَكَلَّمَ الضَّبُّ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ يَفْهَمُهُ الْقَوْمُ جَمِيعاً: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَعْبُدُ؟**»، قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ، وَفِي الأَرْضِ سُلْطَانُهُ، وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ، وَفِي النَّارِ عَذَابُهُ، قَالَ: «**فَمَنْ أَنَا يَا ضَبُّ؟**»، قَالَ: أَنْتَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ، وَقَدْ خَابَ مَنْ كَذَّبَكَ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقّاً، وَاللهِ لَقَدْ أَتَيْتُكَ وَمَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ هُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْكَ، وَاللهِ لأَنْتَ السَّاعَةَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ وَالِدَيَّ، وَقَدْ آمَنَ بِكَ شَعْرِي وَبَشَرِي وَدَاخِلِي وَخَارِجِي وَسِرِّي وَعَلانِيَتِي.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ إِلَى هَذَا الدِّينِ الَّذِي يَعْلُو وَلَا يُعْلَى، لَا يَقْبَلُهُ اللهُ إِلَّا بِصَلَاةٍ، وَلَا يَقْبَلُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِقُرْآنٍ**»، فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَمْدُ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سَمِعْتُ فِي الْبَسِيطِ وَلَا فِي الرَّجَزِ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَيْسَ بِشِعْرٍ، إِذَا قَرَأْتَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مَرَّةً، فَكَأَنَّمَا قَرَأْتَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَإِذَا قَرَأْتَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مَرَّتَيْنِ، فَكَأَنَّمَا قَرَأْتَ ثُلُثَي الْقُرْآنِ، وَإِذَا قَرَأْتَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَكَأَنَّمَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ**»، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: نِعْمَ الإِلَهُ إِلَهُنَا، يَقْبَلُ الْيَسِيرَ، وَيُعْطِي الْجَزِيلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعْطُوا الأَعْرَابِيَّ**»، فَأَعْطَوْهُ.

وتَكَلمُ الضَّبِ مع رسول الله ﷺ أمر لا منازع فيه ولا خلاف، والله أعلم. وقد رواه الطبراني.

* * *

قلت:

وعجنه قليل خبز فكفى ألفاً وخمسمائة بالمصطفى

الشَرح

ومن معجزاته ﷺ: أن كفى الطعام القليل القوم الكثير ببركته ﷺ.

ويحدثنا سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق، رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء، فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت إليَّ جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغتْ إلي فراغي[1]، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا

(١) يعني: لما فرغ هو من الذبح وسلخ الشاة فرغت امرأته من طحن الشعير وعجنه.

تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه!! فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا، وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفرٌ معك. فصاح النبي ﷺ: «**يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سوراً، فحَيَّ هلا بكم**»، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تُنْزِلُنَّ برمتكم، ولا تخبزن عجينكم، حتى أجيء**»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بِكَ وبِكَ، فقلت: قد فعلت الذي قلت!!

فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: «**ادع خابزةً فلتخبزْ معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها**»، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو[١]!!

* * *

قلت:

معراجه بروحه مع جسده　ومن يقول غير ذا قد جار به

إسراؤه حقّاً فمن قد أنكرا　ففي السعير خالداً شرّاً يرى

الشَرْح

ومن معجزاته ﷺ: إسراؤه ومعراجه، فقد كان ذلك بروحه وجسده معاً، ومن يقول غير ذلك فقد ابتعد عن الحق والحقيقة، وبعض الناس من أوَّل رحلة الإسراء والمعارج بتأويلات لا يحتملها النص الصريح، حتى أن بعضهم أنكر ذلك كليّاً وهم أهل الزيغ والباطل، كيف يجرؤون على ذلك وهناك نصوص قرآنية وأحاديث متواترة.

لذلك لما اشتد إيذاء المشركين للرسول ﷺ، أراد الله ﷻ أن يخفف عن رسوله، فكانت رحلة الإسراء والمعراج، حيث جاء

---

(١) رواه البخاري.

جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ ومعه البراق، فركبه الرسول ﷺ، وأُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث صلَّى إماماً بالأنبياء جميعاً، ثم عرج به إلى السماوات العلى، وفي تلك الرحلة المباركة فرض الله الصلاة، ثم عاد الرسول ﷺ إلى مكة في نفس الليلة.

وقد جاء في الحديث الشريف الصحيح: «**ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا**»(١).

* * *

قلت:

عـيـنـاه إن نـامـت فـلا يـنـام ... فـي قـلـبـه تـوافـق الأنـام

الشَرح

ومن معجزاته ﷺ: أن عينيه تنامان ولا ينام قلبه لأنه يوحى إليه يقظة ومناماً.

وفي الحديث الذي رواه ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تنام عيني ولا ينام قلبي**».

وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: كان رسول الله ﷺ ينام وهو ساجد، فما يعرف نومه إلا بنفخه، ثم يقوم فيمضي في صلاته.

* * *

قلت:

حـي طـري بـعـد مـوت قـد ورد ... وروضـة فـي قـبـره ذاك أسّـد

(١) رواه البخاري.

الشَرْح

ومن معجزاته ﷺ: أن الله تعالى أكرمه وأكرم الأنبياء بحيث يكونون أحياء في قبورهم.

ونحن نعتقد جازمين أن نبينا محمداً ﷺ هو غض طري، حي في قبره وهو عليه روضة من رياض الجنة.

ولذلك ورد عنه ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»[(١)].

وقوله ﷺ: «**أنا في قبري حي طري، من صلَّى عليَّ صليت عليه، ومن سلَّم عليَّ سلَّمت عليه**».

وقوله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ**»، قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ (قال: يقولون: بليت)، فقال: «**إن الله حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء**»[(٢)].

* * *

قلت:

قد كان شيطان النبي مجرما   أعانه المولى عليه أسلما

قد جاءه الشيطان في صلاته   أردى به الأرض على علّاته

الشَرْح

ومن معجزاته ﷺ: أن الله تعالى لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً، وكذلك جميع الأنبياء والرسل.

ولذا ورد عن عروة رضي الله عنه: أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته: أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما

---

(١) رواه أبو داود وغيره.

(٢) صحيح على شرط مسلم.

أصنع فقال: «**ما لك يا عائشة أَغِرْتِ؟**»، فقالت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله ﷺ: «**أَقَد جاءك شيطانك؟**»، قالت: يا رسول الله أوَ معي شيطان؟ قال: «**نعم**»، قالت: ومع كل إنسان؟ قال: «**نعم**»، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «**نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم**»[١].

وقد ثبتت رؤية النبي ﷺ للشيطان بحضرة بعض أصحابه. ففي «صحيح مسلم» عن أبي الدرداء قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: «**أعوذ بالله منك**»، ثم قال: «**ألعنك بلعنة الله ثلاثاً**»، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: «**إنَّ عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار، ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك**» ثلاث مرات، «**ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر**» ثلاث مرات، «**ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان، لأصبح موثقاً يلعب به ولدان المدينة**».

وقد تكرر هذا أكثر من مرة، ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة، وإن الله أمكنني منه فذَعتُّه**[٢]**، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون، أو كلكم، ثم ذكرت قول أخي سليمان: ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي، فرده الله تعالى**».

* * *

قلت:

قد طوى الأيام قائلاً بما إني أبيت عند ربي مكرما

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) ذَعَتُّه: خنقته.

الشَرح

ومن معجزاته وإكرام الله تعالى له ﷺ: أن يصوم ويطوي الأيام المتعددة المتتالية، وهذه خصوصية عظيمة له.

وقد ورد حديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى**»(١).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: «**فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحَرِ**».

وفي حديث آخر حديث عن أنس رضي الله عنه، قال: وَاصَل النبي ﷺ آخر الشهر، وواصَل أناس مِن الناس، فبلغ النبي ﷺ فقال: «**لَوْ مُدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصَلْنَا وِصَالاً يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ**»(٢).

* * *

قلت:

سراقة في هجرة قد تبعه ... جواده تحت الرمال سمعه

أنقذني يا محمد فقد وعد ... لباس كسرى يرتدي كما وعد

الشَرح

ومن معجزاته ﷺ: قصة سراقة بن جعشم.

وسراقة بن مالك المدلجي الكناني، سيد بني مدلج وأحد أشراف قبيلة كنانة وصحابي جليل قائف يقتص الأثر، لحق بالرسول محمد ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق في الهجرة، وهو يومئذ مشرك طمعاً في جائزة

---

(١) رواه أبو هريرة وعائشة وأنس بن مالك.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

قريش، فلما وصل للرسول ﷺ انغرست قدما فرسه في الوحل فطلب من رسول الله ﷺ أن يدعوا الله لينجيه مما هو فيه على أن يرجع عنهم ويعمي عنهم الطلب، فدعا له رسول الله ﷺ ثم قال له: «**كيف بك إذا لبست سِوَارِيْ كسرى ومِنْطَقَتَه وتاجه**»، فقال سراقة: كسرى بن هرمز؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

ثم انصرف سراقة، فلما فتح سعد بن أبي وقاص المدائن في زمن خلافة عمر بن الخطاب، أرسل سواري كسرى وتاجه ضمن الغنائم إلى الخليفة فتحقق لسراقة وعد النبي ﷺ له حيث ألبسه عمر سواري كسرى.

وفي حديث مرفوع قال البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحلاً، فَقَالَ العَازِبُ: ابْعَثْ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي، قال: فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قال: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الْغدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلا الطَّرِيقُ لا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنا عِنْدَهُ، وَسَوَّيْتُ لِلْنَّبِيِّ عليه السلام مَكَاناً بِيَدِيَ يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، وأَنا أَنْفُضُ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَام؟ قَال: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ أَو مَكَّةَ، قُلْتُ: أفي غنمك لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلِبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ والشَّعْرِ والقَذَى، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى يَنْفُضُ، فَحَلَبَ فِي قُعْبٍ كثبةٍ مِنْ لَبَنٍ، ومعي إداوةٌ حَمَلْتُها للنَّبيِّ ﷺ يَرْتَوِي فِيهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوْقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ المَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرِدَ

أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَمْ يَأْنِ الرَّحِيلُ؟**» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَما زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»، فَدَعا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلى بَطْنِهَا، أُرَى فِي جِلْدٍ مِنَ الأَرْضِ، شَكَّ زُهَيْرٌ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوا لي، فاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَجَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحداً إِلَّا قَالَ: كَفَيْتُكُم ما هٰهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحداً إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لنا»[1].

❊ ❊ ❊

قلت:

قد شقت الأملاك قلب المصطفى حتى غدا منوراً فيه الوفا

الشَّرح

ومن معجزاته ﷺ: شق قلبه لما كان صغيراً حيث شقتِ الملائكة قلبه وغسلته بماء زمزم، وأخرجت منه حظ الشيطان حتى غدا رسولنا الأكرم وقد نوّرَ الله قلبه بالمحبة والصدق والوفاء.

وقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: «**هذا حظ الشيطان منك**»، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني: ظئره ـ فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع

---

(١) هذا حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم، عن سلمة بن شبيب، عن الحسن بن أعين، عن زهير.

اللون. قال أنس: أرى أثر المخيط في صدره. والظئير المرضعة وهي هنا: حليمة كما هو معلوم.

* * *

قلت:

أشجار ربي شهدت له بما قد جاء بالتوحيد رب الكرما

الشَرح

ومن معجزاته ﷺ: شهادة الشجرة له بالنبوة، وذلك في الحديث الذي رواه سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: «**أين تريد؟**»، قال: إلى أهلي، قال: «**هل لك في خير؟**»، قال: وما هو؟ قال: «**تشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله**».

قال الأعرابي: ومن يشهد على ما تقول؟ فأشار النبي ﷺ إلى شجرة، وقال: «**هذه السلَمَة**»، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلَتْ تَخُدُّ الأرض خدّاً حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً أنه كما قال.

ثم رجعت إلى مَنبَتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وهو يقول للنبي ﷺ: «**إن اتبعوني أتيتُك بهم، وإلا رجعتُ فكنتُ معك**»[1].

* * *

قلت:

ورد العين بعد قلع قد ورد قتادة سر بدا فلا يرد

---

(١) رواه الدارمي، وصححه ابن حبان.

الشَرح

ومن معجزاته ﷺ: رد عين قتادة لما أُصيبت يوم أُحد فبرأت بإذن الله تعالى وببركةِ لمسات يد نبيِّنا محمد ﷺ.

وقد أطلق أحد الكفار يوم غزوة أُحد سهماً فأصاب عين الصحابي الجليل قتادة بن النعمان.

كانت الإصابة شديدة، حتى أن عينه نزلت على خده، أشار البعض باستئصالها، وقال آخرون: بل نخبر رسول الله ﷺ، ونفعل ما يأمرنا به.

استدعاه النبي ﷺ، وأقبل قتادة وعينه في يده، سأله النبي ﷺ: «**ما هذه يا قتادة؟**» أجاب: هذا ما ترى يا رسول الله، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت رددتها، ودعوت الله لك فلم تفتقد منها شيئاً**»، قال قتادة: يا رسول الله، إن الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل، وإنه راغب بالجنة، ولكنه يتمنى أيضاً أن تعود عينه كما كانت، لذا فقد قال للرسول عليه الصلاة والسلام: تردها لي وتسأل الله لي الجنة، فقال النبي ﷺ: «**أفعل يا قتادة**»، فأخذ النبي ﷺ عين قتادة بيده وأعادها إلى موضعها، فعادت سليمة بأمر الله، بل أصبحت أحسن عينيه الاثنتين، ودعا له النبي ﷺ بالجنة.

* * *

قلت:

ثم انشقاق وانكسار القمر ذا ثابت من غير أدنى نظر

الشَرح

ومن جملة معجزاته ﷺ: انشقاق القمر، حيث أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما(١).

---

(١) متفق عليه.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»[١].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: لقد رأيت جبل حراء من بين فلقتي القمر.

وذكر أهل السيرة أن أبا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدد كبير من مشركي قريش جاؤا إلى الرسول ﷺ، وقالوا: يا محمد إن كنت صادقاً فيما تقول فشق لنا القمر نصفين. فتوجه الرسول ﷺ إلى ربه، ودعاه أن يشق القمر نصفين، فحقق الله رغبة النبي ﷺ، وانشق القمر نصفين ورآه الناس، وأشهدهم الرسول ﷺ على ذلك، ولكنهم كذبوا[٢].

❐ جبل أُحد:

عن أنس بن مالك ﷺ يقول: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعاً وبدا له أُحُد قال: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**»، ثم أشار بيده إلى المدينة قال: «**اللَّهُمَّ إني أحرم ما بين لابتيها كتحريم إبراهيم مكة، اللَّهُمَّ بارك لنا في صاعنا ومدنا**»[٣].

❐ ذراع مشوية:

قال عمرو عن أبي سلمة: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة زاد، فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمَّتها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم فقال: «**ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة**»، فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري في صحيحه.

اليهودية: «**ما حملك على الذي صنعت؟**»، قالت: إن كنت نبيّاً لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت، ثم قال في وجعه الذي مات فيه: «**ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان قطعت أبهري**[١]»[٢].

وقال نبيّنا ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ**»، وكما دعا الشجرتين المفترقتين فاجتمعا وكما رجف جبل أحد، فقال: «**اسكن أحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان**». وكما كلّمه ذراع الشاة، وكما قال ﷻ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. والصحيح في معنى هذه الآية: أن كل شيء يسبح حقيقة بحسب حاله ولكن لا نفقهه، وهذا وما أشبهه شواهد لما اخترناه واختاره المحققون في معنى الحديث: «**وأن أُحداً يحبنا حقيقة**»[٣].

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره، لكون أُحد من جبال الجنة كما ثبت في حديث أُبي مرفوعاً: «**جبل أُحد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة**»[٤].

ولا مانع من إمكان المحبة منه، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب: «**اسكن أُحد...**» الحديث[٥].

ولذلك نحن نحب جبل أُحد، ونشهد الله أننا نحبه، وجبل أُحد ليس فيه تفاح ولا برتقال، وليس فيه نهر زلال، وليس فيه خلايا عسل، وإنما هو جبل أجرد أمرد أسود، لكننا نحبه؛ لأن الرسول ﷺ

---

(١) أبهري ـ بفتح فسكون ـ: عِرق في الظهر.

(٢) رواه أبو داود في سننه، **قلت**: وأصله في الصحيحين.

(٣) قاله النووي في شرح مسلم.

(٤) أخرجه أحمد.

(٥) رواه البخاري.

يقول في «الصحيح»: «**أُحد جبل يحبنا ونحبه**»، فنحن لذلك نحبه.

* * *

قلت:

وغير ذا مما مضى فاعتمد كتاب نبهان وإذ ذاك خذ
فالمعجزات كلها قد أوضحا دقيقها جليلها وأفصحا
فرحمة المولى عليه سرمدا إذ ما شدا طير نهاراً أبدا

الشَّرْح

وغير هذه المعجزات الباهرات والكرامات الرائعات، إذا أردت التزود والزيادة فعليك بالمطولات من الكتب التي اختصت بذكر معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام، وخاصة كتاب «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» للعالم الجليل دفين تربة الباشورة في بيروت الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالىٰ، حيث استغرق في كتابه ذكر جلِّ المعجزات دقيقها وجليلها.

وبالمناسبة ندعو الله تعالى له بالرحمة الدائمة، مدّه دوام شدو الطيور في وسط النهار.

خصائص سيدنا محمد ﷺ

الـحـمـدُ لـلَّـهِ الـذي قـد أَكْـرَمـا خـيـرَ الـورى مـحـمـداً وعـلّـمـا

هـاك خـصـائـصَ الـنـبـي الـزاهـد فـيـمـا نَـرى إذ كـانَ خـيـرَ عـابـدِ

إذ نـصـرَ الـلَّـهُ الـنـبـيَّ فـاعـلَـمـا مـسـيـرةَ الـشـهـرِ كَـذَا وأنـعـمَـا

وجـعْـلِـهِ الأرضَ طـهُـوراً أبـدا لـكـلِّ عـبـدٍ إنْ أرادَ مَـسْـجِـدا

بـعـثـتُـه كَـشـرْعـه قـدْ عَـمَّـتْ كـلَّ الـورى وغـيـرُه قَـدْ خـصَّـتْ

عـمَّ الـوجـود بـعـثُـه لـلـعـالـمـيـنْ غـنـائـمُ الـغـزوِ أُحِـلَّـتْ فـاسـتـبِـنْ

شـفـاعـةُ الـمـخـتـارِ لـلأبـرارِ كـذا الـمـسـيءُ قـبـلَ عـرضِ الـنَّـارِ

هـذا الـحـديـثُ قـد رواهُ جـابـرُ أوائـلُ الـصـفـاتِ لـيـسـتْ آخِـرُ

وأُعْـطِـى جـوامـعَ الـكـلامِ بـهِ الـخـتـامُ تـمَّ ذا مـرامـي

صـفـوفـنـا تـشـابـه الأمـلاكـا قـف فـي الـصـلاة قـد نـمـا عـلاكـا

وتـحـتَ الـعـرشِ فـيـه كـنـزٌ أُنْـزلـتْ أواخِـرُ الآيـاتِ ثـم تـلـيـتْ

تُـعَـدُّ ثـانـي سـور الـقـرآنِ فـي رفـعِ الأخْـطَـاءِ مـع الـنـسـيـانِ

وزادَ أحـمـدُ الـتـقـيِّ الـحـنـبـلـيِّ فـوقَ الـذي قـد مـرَّ عـنـدَ الأوَّلِ

أولاهـا أُعـطِـيَ الـمـفـاتـيـحُ كـذا قـد سُـمِّـيَ بـهِ الـنـبـيُّ أحـمـدا

أمـتـه قـدْ جُـعِـلَـتْ خـيـرَ الأمـم قـد يَـعْـجَـزُ الـلـسـانُ مـدحـاً والـقـلَـمْ

وقـال بـزازٌ بـمـحـوِ كـلِّ مـا تـقـدَّمَ مِـنْ ذَنْـبِـهِ وعُـلِـمَـا

والـكـوثـرُ الـنـهـرُ الـذي قـد خُـصـا بـه الـنـبـيُّ كـلُّ ذا قـد نُـصَّـا

ويـحـمـلُ الـلـواءَ يـومَ الـعـرْضِ حـبـيـبُـنـا ومـا لَـهُ مِـن غَـضِ

وآدمُ مـع الـكـرامِ الـرسـلِ دونَ الـصـفـيِّ كـلـهُ مِـنْ نَـقْـلِ

وكـانَ شـيـطـانُ الـنـبـيِّ مـجـرِمَـا أعـانَـهُ الـمـولـى عـلـيـهِ أسْـلَـمَـا

والنيسبوريُّ الذي قد ذَكَرا ستينَ خصلةً كذا فاعْتَبِرا
واللَّهَ في البدءِ وفي الختامِ أسألُهُ العفوَ مع الإكرامِ
نظمَها العبدُ الفقيرُ المذنبُ صلاحُ فخرٍ عفوَ ربٍّ يطلبُ

* * *

الحمدُ للَّهِ الذي قد أَكْرَما خيرَ الورى محمداً وعلما
هاك خصائصَ النبي الزاهد فيما نَرى إذ كانَ خيرَ عابدِ

الشَرح

▢ خصائص النبي ﷺ:

بدأت هذه الخصائص الراقية بحمد الله تعالى؛ لأنه سبحانه له المحامد كلها في السمٰوات والأرض، ولأنه هو الذي أكرم مولانا وسيدنا محمداً ﷺ وخصَّه بأن جعله خير الورى، واختصه وعلَّمه ما لم يكن يعلم.

وإني أقدم لك أيها القارئ الكريم خصائص النبي ﷺ وهي كثيرة غزيرة، ولكن نأخذ منها رشفة من بحر أو غَرفة من نهر، عسى أن أكون قد وفِّيت له حقه فيما خصه الله تعالى به.

كما أن رسولنا الأكرم كان سيد الورعين والزاهدين في هذه الدنيا التي قال عنها إنه كمثل مسافر استظل بظل شجرة ثم رحل، ومع هذا كله كان عابداً راكعاً ساجداً داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، والذي كان يقوم من الليل في العبادة حتى تتفطر قدماه(١).

* * *

إذ نصرَ اللَّهُ النبيَّ فاعلَما مسيرةَ الشهرِ كَذَا وأنعمَا

(١) في حديث رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها.

وجـعْـلِـهِ الأرضَ طـهُـوراً أبـدا لـكـلِّ عـبـدٍ إنْ أرادَ مَـسْـجِـدا
بـعـثـتُـه كـشـرْعـه قـدْ عَـمَّـتْ كـلَّ الـورى وغـيـرُه قَـدْ خـصَّـتْ
عـمَّ الـوجـود بـعـثُـه لـلـعـالـمـيـنْ غـنـائـمُ الـغـزوِ أُحِـلَّـتْ فـاسـتـبِـنْ
شـفـاعـةُ الـمـخـتـارِ لـلأبـرارِ كـذا الـمـسـيءُ قـبـلَ عـرضِ الـنَّـارِ
هـذا الـحـديـثُ قـد رواهُ جـابـرُ أوائـلُ الـصـفـاتِ لـيـسـتْ آخِـرُ

الشَرْح

□ تفصيل الخصائص النبوية:

الخصوصية الأولى:

فقد أكرم الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بهذه الخصوصية التي لم يخصَّ بها نبيّاً من قبله، وهي أنه وعده بالنصرة من مسيرة شهر، حيث كان من يريد محاربة الإسلام وطمس معالم الإيمان يسمع بمسيرة النبي ﷺ قبل الوصول إليهم من مسيرة شهر، وكان الرعب يخطف قلوبهم ويقطع أوصالهم من الفرق والخوف.

١ ـ فقد روى البخاري في «صحيحه»، قَالَ: أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**».

الخصوصية الثانية:

٢ ـ **جعل الله له الأرض مسجداً وطهوراً**: ومثله في «سنن النسائي»، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ**

خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً فَأَيْنَمَا أَدْرَكَ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي الصَّلَاةَ يُصَلِّي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَلَمْ يُعْطَ نَبِيٌّ قَبْلِي، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً».

الخصوصية الثالثة:

٣ ـ **بعثته عامة**: ففي «صحيح مسلم»، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ، يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضَ طَيِّبَةً طَهُوراً وَمَسْجِداً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**».

الخصوصية الرابعة:

٤ ـ **أُحلت له الغنائم**: وفي «السنن الكبرى» للبيهقي، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طِيباً وَطَهُوراً وَمَسْجِداً، وَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**».

الخصوصية الخامسة:

٥ ـ **أعطي الشفاعة**: وجاء في «مسند أحمد»، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُهُنَّ فَخْراً: بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، الأَحْمَرِ، وَالأَسْوَدِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ**

شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، فَأَخَّرْتُهَا لِأُمَّتِي، فَهِيَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً».

* * *

وأعطي جوامع الكلام   به الختام تم ذا مرامي

الشَرْح

وإن من خصوصياته ﷺ: أنه أعطي جوامع الكلم، وجوامعه هي أن يذكر اللفظ القليل وتندرج تحته معانٍ كثيرة، مثل: «**إنما الأعمال بالنيات**».

فقد ذكر البخاري في «صحيحه»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي**»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا، أي تستخرجون ما فيها وتتمتعون به.

وأنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبيّ بعده، كما ورد عنه ﷺ.

* * *

صفوفنا تشابه الأملاكا   قف في الصلاة قد نما علاكا

الشَرْح

ومن خصائصه ﷺ وخصائص أمته: أن صفوفنا في الصلاة مع الإمام تشبه صفوف الملائكة كما ورد في الحديث الآتي:

فقد جاء في «صحيح مسلم»، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ، كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ، اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ**»، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَرَآنَا حَلَقاً،

فَقَالَ: «**مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ**»، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**».

* * *

وتحتَ العرشِ فيه كنزٌ أنزلتْ آواخرُ الآياتِ ثم تليتْ
تُعَدُّ ثاني سور القرآنِ في رفعِ الأخطَاءِ مع النسيانِ

الشَرْح

إن الله ﷻ جعل تحت عرشه كنزاً وهو آخر الآيات من سورة البقرة، والتي هي السورة الثانية في القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [٢٨٥] الآيات.

وقد ورد في حديث ذكره البيهقي في «شعب الإيمان»، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْقُرْآنَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، مَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، وَإِنَّ لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ظَهْراً وَبَطْناً، أَلَا إِنِّي أُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمَ الْبَقَرَةِ، مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، وَأُعْطِيتُ الْمُفَصَّلَ نَافِلَةً**».

* * *

وزادَ أحمدُ التقيّ الحنبليّ فوقَ الذي قد مرَّ عندَ الأوَّلِ
أوَلاهَا أُعطَى المفاتيحُ كذا قد سُمِّيَ بهِ النبيُّ أحمدا

الشَرْح

وقد زاد الإمام التقي الصالح أحمد بن حنبل رضي الله عنه خصائص غير التي ذكرت، وهو أن الله تعالى خص رسوله عليه الصلاة والسلام حيث

أعطاه مفاتيح الجنان، وجعل الجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها، وجعلها محرمة على الأمم حتى تدخلها أُمَّته ﷺ.

كما أن الله تعالى خصَّه حيث سمَّاه في القرآن أحمد: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وقد جاء في «دلائل النبوة» للبيهقي، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْكَرَمِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَمَفَاتِيحُ الْجِنَانِ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّهِ ﷻ وَلَا فَخْرَ، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ»**.

* * *

أُمَّتـه قَـدْ جُـعِـلَـتْ خـيـرَ الأمـم   قد يَـعْـجَـزُ الـلـسـانُ مدحاً والـقَـلَـمْ

الشَّرح

وقد خصَّ الله تعالى رسوله ﷺ وخصَّ أُمَّته، حيث جعلها خير الأمم على وجه الأرض ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويكفي أُمَّته شرفاً هذه الآية الكريمة حيث كمل لنا الدين الذي ارتضاه لنا، وجعلنا خير الأمم، ومهما تكلمنا عن الأمة التي خصَّها الله تعالى مدحاً وثناءً فإن القلم يقف عاجزاً وحاجزاً عن ذكر ذلك، ولكن الله تعالى رفع شأنها في الدنيا والآخرة.

وفي الحديث عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الأَكْبَرِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أُعْطِيتُ أَرْبَعاً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ: أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُوراً، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأُمَمِ»**.

* * *

وقـال بـزارُ بـمـحـوِ كـلِّ مـا تـقـدَّمَ مِـنْ ذَنْـبـهِ وعُـلِـمَـا

الشَرح

وقال الإمام البزار: إن من خصوصياته ﷺ أن أكرمه الله تعالى بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وعن عبادة بن الصامت، يقول: كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرئ بعضنا بعضاً القرآن، فجاء عبد الله بن أُبي بن سلول ومعه نمرقة وزربية فوضع واتكأ وكان صبيحاً جدلاً، فقال: يا أبا بكر، قل لمحمد يأتينا بآية كما جاء الأولون؟

جاء موسى بالألواح وجاء داود بالزبور، وجاء صالح بالناقة، وجاء عيسى بالإنجيل وبالمائدة، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فخرج رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: قوموا بنا إلى رسول الله ﷺ نستغيث به من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لا يُقام لي، إنما يُقام لله عز وجل**»، فقلنا: يا رسول الله، إنا لقينا من هذا المنافق، فقال: «**إن جبريل قال لي: اخرج فأخبر بنِعَم الله التي أنعم بها عليك وفضيلته التي فُضِّلت بها، فبشّرني أنه بعثني إلى الأحمر والأسود، وأمرني أن أنذر الجن، وآتاني كتابه وأنا أُمِّيّ وغفرَ ذنبي ما تقدم وما تأخر، وذكر اسمي في الأذان وأيدني بالملائكة وآتاني النصر، وجعل الرعب أمامي، وآتاني الكوثر، وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم القيامة، ووعدني المقام المحمود والناس مهطعون مقنعو رؤوسهم، وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس، وأدخل في شفاعتي سبعين ألفاً من أُمَّتي الجنة بغير حساب، وآتاني السلطان والملك، وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم، فليس فوقي أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش، وأُحِلَّ لي الغنائم، ولم تُحَلّ لأحد كان قبلنا**»(١).

* * *

---

(١) رواه ابن عساكر.

والكوثرُ النهرُ الذي قد خُصا به النبيُّ كلُّ ذا قد نُصَّا

الشَّرح

ومن خصوصياته ﷺ: أن أكرمه الله تعالى بنهر الكوثر، وهذا قد نصَّ عليه في القرآن الكريم في سورة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾.

وفي «جامع الترمذي»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: «**ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ**؛ يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ، **أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ**»، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لَنَاعِمَةٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكَلَتُهَا أَحْسَنُ مِنْهَا**»(١). **أي منعمة.**

* * *

ويحملُ اللواءَ يومَ العرْضِ حبيبُنا وما لَهُ مِن غَضِّ

الشَّرح

ومن خصوصياته ﷺ: أنه يخص بحمل اللواء يوم القيامة، وهذا ـ والله أعلم ـ لتجتمع أُمَّته حوله يوم القيامة، أو أنه علامة وراية للأمان من الخوف أو غير ذلك، وحمل اللواء لا شك ولا ريب أن رسولنا محمداً ﷺ يرفعه يوم القيامة.

فقد ورد في «المستدرك على الصحيحين»، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْتَظِرُ الْفَرَجَ، وَإِنَّ مَعِي لِوَاءَ الْحَمْدِ، أَنَا أَمْشِي وَيَمْشِي النَّاسُ مَعِي حَتَّى آتِيَ بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَباً بِمُحَمَّدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي خَرَرْتُ لَهُ سَاجِداً أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

* * *

(١) رواه مسلم.

وآدمُ مـع الـكـرامِ الـرسـلِ   دونِ الـصـفـيِّ كـلـهُ مِـنْ نـقْـلِ

الشَّرح

كما أن من خصوصياته ﷺ: له الشفاعة يوم القيامة ودعوته خبأها ليوم القيامة لأُمَّته، ويكون تحت لوائه كل الأنبياء من آدم إلى موسى وعيسى.

والصفيُّ هو رسولنا محمد ﷺ الذي اصطفاه الله تعالى وخصَّه بهذه الخصوصيات الرائعة.

وجاء في «شعب الإيمان» للبيهقي، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إلا لَهُ دَعْوَةٌ يَتَنَجَّزُهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ، وَآدَمُ وَمَنْ دُونَهُ، تَحْتَ لِوَائِي وَلَا فَخْرَ»**.

* * *

وكـانَ شـيـطـانُ الـنـبـيِّ مـجـرِمَـا   أعـانـهُ الـمـولـى عـلـيـهِ أسَـلَـمَـا

الشَّرح

ومن خصوصياته ﷺ: أن الله تعالى سَلَّمه من الشيطان، والشياطين هو والأنبياء حيث ليس له سلطان عليهم، والله أعان رسوله الأكرم على ذلك.

وقد ورد في الحديث كما ذكر مسلم في «صحيحه»، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»**، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«وَإِيَّايَ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»**.

* * *

والنيسبوريُّ الذي قد ذَكَرا ستينَ خصلةٍ كذا فاعْتَبِرا
واللَّهَ في البدءِ وفي الختامِ أسألُهُ العَفو مع الإكرامِ
نظمَها العبدُ الفقيرُ المذنبُ صلاحُ فخرٍ عفوَ ربٍّ يطلبُ

الشَرح

والإمام النيسابوري قد ذكر للنبي ﷺ ستين خصوصية وخصلة من الخصائص الرائعة، ومن أراد المزيد على أمثال هذه الخصائص فليراجع كتاب «الخصائص».

وأنا العبد الفقير المفتقر إلى الله تعالى، كما بدأت هذه الخصائص بالحمد في أول الكلام كذلك أحمده في الختام؛ لأنه هو ﷻ الموفق.

وأسأله تعالى أن يكرمنا وإياكم في الدنيا والآخرة، طالبين منه العفو عن الزلّات والذنوب إنه هو غفار كريم.

أسماء النبي ﷺ

وإنني إتماماً للفائدة، وإظهاراً لقَدر النبي ﷺ كتبت هذه الكلمات عن أسمائه ﷺ.

فقلت: من دلائل علوّ قَدر النبي ﷺ تعدُّد أسمائه التي تدل على كثرة خيره، وعلوّ مكانته وتعدُّد شمائله، فإن كثرة الأسماء مع حسنها تدل على كثرة الصفات والمحامد التي يقوم بها المسمَّى بتلك الأسماء، ولما كان النبي ﷺ قد بلغ الغاية في الكمال الإنساني فقد اختصه الله سبحانه وتعالى بتعدُّد أسمائه وصفاته، والتي تَظهَر بجلاء شمائله وخصائصه التي تفضَّل الله بها عليه في الدنيا والآخرة، ولا يعرف من الكتاب والسُّنَّة نبيٌّ من الأنبياء له من الأسماء ما لنبيِّنا ﷺ.

❑ محمد، أحمد:

سمَّى الله عز وجل النبي ﷺ في القرآن الكريم بـ: «محمد»، و«أحمد»، وذكر اسم محمد في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وَ«مُحَمَّد» هو كثير الخصال التي يُحمد عليها، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وشقَّ له من اسمه ليُجِلّه ... فذو العرش محمود وهذا مُحمَّد

أما اسم «أحمد» فقد ذُكِرَ في القرآن الكريم مرة واحدة في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

قال ابن حجر: «ومما وقع من أسمائه في القرآن بالاتفاق: الشاهد، المبشر، النذير المبين، الداعي إلى الله السراج المنير، وفيه أيضاً: المذكر، والرحمة، والنعمة، والهادي، والشهيد، والأمين، والمزمل، والمدثر».

❐ الماحي، الحاشر، العاقب:

ثبت في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ ما ظاهره تحديد عدد أسمائه ﷺ؛ كحديث جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**لي خمسة أسماء: أنا محمَّد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «والذي يظهر أنه أراد أن لي خمسة أسماء اختص بها لم يُسَمَّ بها أحد قبلي، أو معظمة، أو مشهورة في الأمم الماضية، لا أنه أراد الحصر فيها».

وفي رواية مسلم: أنَّ النبي ﷺ قال: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشَر الناسُ على قدمَيّ، وأنا العاقب(٢)، وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً**»(٣).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) العاقِب: الذي ليس بعده نبيّ.

(٣) رواه مسلم.

◻ المختار، المصطفى، الشفيع المشفع، الصادق المصدوق:

قال ابن حجر: «من أسمائه المشهورة: المختار، والمصطفى، والشفيع المشفع، والصادق المصدوق».

◻ بعض معاني أسمائه ﷺ:

الماحي: هو الذي محا الله به الشرك والعقائد الوثنية من الجزيرة العربية.

الحاشر: هو الذي يُحشر الناس على قدمه؛ أي: على أثره، فكأنه بعث ليحشر الناس.

العاقب: الذي جاء عقب الأنبياءِ فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

المُقَفّي: هو الذي قفى على آثار من تقدمه وسبقه من الرسل، فكان خاتمهم وآخرهم.

نبي التوبة ونبي الرحمة: قال النووي: «ومقصوده أنه ﷺ جاء بالتوبة والتراحم»، فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله، وكان ﷺ أكثر الناس استغفاراً وتوبةً».

نبي الملحمة: هو الذي بعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبيّ وأُمَّته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأُمَّته.

الأمين: هو أحق الناس ﷺ بهذا الاسم، فهو أمين الله على وحيه ودينه، وهو أمين مَنْ في السماء، وأمين مَنْ في الأرض، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة «الأمين».

البشير: هو المبشر لمن أطاعه بالثواب، والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب، وقد سماه الله: عبده، في مواضع من كتابه.

المنير: سماه الله: سراجاً منيراً، وسمى الشمس: سراجاً وهاجاً، فالمنير هو الذي ينير من غير إحراق، بخلاف الوهاج فإن فيه نوع إحراق وتوهُّج.

لقد صنَّف العلماء في أسماء النبي ﷺ وعددها مصنفات كثيرة، وخصَّص المصنِّفون في السِّيَر والشمائل أبواباً لبيان أسمائه ﷺ، كما فعل القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، وأوصل بعضهم للنبي ﷺ نحو ثلاثمائة اسم، وبلغ بها بعض الصوفية ألف اسم، فقالوا: «لله ألف اسم، ولرسوله ﷺ ألف اسم».

قال الإمام ابن حجر: «نقل ابن العربي في «شرح الترمذي» عن بعض الصوفية: أن لله ألف اسم، ولرسوله ﷺ ألف اسم».

ولا شك أن في هذه الأعداد الكثير من المبالغة، فالصحيح أن أسمائه ﷺ أقل من ذلك بكثير، فلا يجوز الزيادة عليها بما لم يرد في الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، خاصة إذا كانت هذه الأسماء ـ الغير صحيحة ـ فيها غلوّ وإفراط، مثل هذه الأسماء التي وردت في بعض كتب الصوفية والتي منها: مدعو، غوث، غياث، مقيل العثرات، صفوح عن الزلات، خازن علم الله، بحر أنوارك، مؤتي الرحمة، نور الأنوار، قطب الجلالة، السر الجامع، الحجاب الأعظم، والمحب المستغرق معذور.

ومن أهم أسباب الخلاف في عدد أسماء النبي ﷺ أن بعض العلماء رأى كل وصف وُصِف به النبي ﷺ في القرآن الكريم من أسمائه، فعُدَّ من أسمائه مثلاً: الشاهد، المبشر، النذير، الداعي، السراج المنير، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، في حين قال آخرون من أهل العلم: إن هذه أوصاف وليست أسماء أعلام. قال النووي: «بعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز»، وقال السيوطي: «وأكثرها صفات».

* فائدة:

قال ابن القيم: «وأما ما يذكره العوام أن (يس وطه) من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صحابي، وإنما هذه الحروف مثل: الم وحم والر، ونحوها». ولا أرى مانعاً من إطلاقها على النبي ﷺ محبة ورفعة وقد سمّىٰ بها أهل عصرنا أولادهم فأصبحت عُرفاً (والعرف في الشرع له اعتبار).

وقد أباح النبي ﷺ لنا أن نتسمَّى باسمه ولا نتكنَّى بكنيته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَسَمُّوا باسْمِي، وَلَا تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي، ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**[1].

ومع شرف وعظم اسم «محمد» و«أحمد» والحرص على التسمي بهما، فلم يصح في فضل التسمية بهما حديث، وأما ما يُذْكر على الألسنة من حديث: «خير الأسماء ما حُمِّد وما عُبِّد» فلم يرد ذلك وينطبق عليه ما ذكرتُه آنفاً، وإنما الصحيح أنه ﷺ قال: **«أَحَبّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمٰن»**[2]. والحب الصادق له ﷺ يكون باتباعه والاقتداء به ظاهراً وباطناً، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

زوجات الرسول ﷺ

وأفضلُ الزوجاتِ أم المؤمنينْ ... خديجةُ الخيرِ رياضُ الصالحينْ

إذْ واستِ النبيَّ مالاً وحِمَى ... حتَّى غَدا مُكمَّلاً ورَاحِما

بعزةِ المؤمنِ قالتْ لَنْ ولا ... يخزي الإلٰهُ مطلقاً محمَّدا

فيما مضى تُدعى بنعمَ الطَّاهِرة ... فضائلُ العطاءِ فيها ظاهِرَة

أولادُه الإناثُ والذكورُ ... منها لَها في الجنةِ القصورُ

وإبراهيمُ أمُّهُ القِبْطيَّةْ ... مقوقسٌ مِنهُ لَهُ هَديَّهْ

وأفضلَ النساءِ بعدَها غَدَتْ ... عائشةٌ عِلمَ الرسولِ قَدْ حوتْ

وفُضِّلتْ عائشةُ البقيهْ ... بكرٌ وعلمٌ زوجةٌ نقيهْ

جبريلُ جَا مِنَ السما بأمرِ ... زواجِها ذَا لمْ يكُنْ للغيرِ

براءةُ اللَّهِ إليها تُستَمَدْ ... من سورةِ النورِ وهَذا مُعْتَمدْ

بقيةُ الزوجاتِ أمهاتُنا ... فلا تفاضلْ تنقضِ حاجاتُنا

وحفصةُ بنتُ الأميرِ عمر ... صوَّامَةٌ قوامةٌ تنهمر

وبنتُ عمةِ النبيِّ عاتكه ... هندُ التي قدْ أخلصتْ ومَالِكَهْ

أمُّ حبيبةَ وقالوا رَمْلَهْ ... وسودةٌ وقيلَ بنتُ زَمْعَهْ

فالأولى قد تزوجتْ بالحبشهْ ... والأخرى أعطت يومها لعائشهْ

وبنتُ عمَّةِ النبيِّ زينبُ ... بنتُ خزيمةَ كذاكَ زينبُ

فالأولى بيضاءُ جمالٌ باهرُ ... زوَّجَها المولى الكريمُ القاهرُ

للفقرا كنيتها قلْ أمَّا ... وفي البقيعِ قبرُها قَد ضَمَّا

ميمونةٌ وأختُها لُبابهْ ... فزوجةُ العباس ذو اللُّبابَهْ

جويريهْ بركةٌ لقومِها ... صفيةُ في خيبرَ بَنى بها

والستُّ الأُولى من قبيلةِ النبيِّ والأُرْبُعِ الاخرى كرامٌ عَربي
صفيةٌ من قومِ موسى تُعْتَبرْ متعظاً مما مضى وما غَبَرْ

* * *

◻ ملخّص سيرة أزواج النبيّ ﷺ:

الزّوجة الأولى: السيِّدة خديجة بنت خويلد:

تاريخ الولادة: (٦٨) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: مكة المكرمة (٢٨) قبل الهجرة، ومدَّة زواجها: (٢٥) سنة.

تاريخ الوفاة: مكة المكرَّمة (١٠) للبعثة (٣) قبل الهجرة.

أهم فضائلها:

أ ـ كانت أول من دخلت في دين الإسلام ونصرته بنفسها ومالها.

ب ـ قال فيها الرسول ﷺ: «**كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع**»، وعدَّ منهم خديجة بنت خويلد. رواه البخاري.

ج ـ وكان ﷺ يفضِّلها على كل نسائه حتى وهي ميتة، ولم يتزوج عليها في حال حياتها.

وهي رضي الله عنها أفضل الزوجات، فهي رياض الصالحين، وقد واست النبي ﷺ بمالها وحمته بجاهها، وهي التي قالت له عند نزول الوحي عليه: «إن الله لن يخزيك أبداً»، وصفاتها: أنها تدعى الطاهرة، وهي التي أنجبت لرسولنا الأكرم أولاده الذكور والإناث، ووعدها النبي ﷺ بالجنة بقصر من قصب ليس فيه تعب ولا نصب، رضي الله عنها وأرضاها. أما ولده إبراهيم فمن مارية القبطية التي وهبها له المقوقس ملك مصر يومذاك. كما سيأتي.

الزّوجة الثانية: سودة بنت زمعة:

تاريخ الولادة: (٦٨) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: مكة المكرَّمة (٣) قبل الهجرة، ومدَّة زواجها (١٤) سنة.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة، شوّال آخر خلافة عمر بن الخطاب.

أهم فضائلها:

أ ـ أوَّل من تزوَّج بعد خديجة بنت خويلد.

ب ـ قالت يوماً للرَّسول ﷺ: يا رسول الله، ما لي رغبة في الدنيا إلَّا لأحشر يوم القيامة في أزواجك فيكون لي من الثواب ما لهنَّ.

ج ـ وكانت تُضحكه.

وهي رضي الله عنها أعطتْ يومها وقسمتها من رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها لحب رسول الله لها ولكبر سنِّها، ومخافة أن يطلقها رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الزَّوجة الثالثة: عائشة بنت أبي بكر الصديق:

تاريخ الولادة: (٩) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: المدينة المنوَّرة (١) للهجرة، ومدَّة زواجها (١١) سنة.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة، رمضان (٥٨) هجريّة.

أهم فضائلها:

أ ـ قال ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**».

ب ـ نزلت براءتها من السماء في حادثة الإفك الشهيرة.

ج ـ كنَّاها النبي ﷺ بأُمِّ عبد الله بأبن أختها عبد الله بن الزُّبير.

وهي رضي الله عنها أفضل النساء الزوجات بعد خديجة، وقد حوت الكثير

من العلم عن رسولنا محمد ﷺ، وهي الزوجة الوحيدة التي تزوجها وهي بكر، وأن جبريل جاء من السماء بأمر زواجها، وقد برّأها الله في سورة النور مما قاله المنافقون وكذبوا، رضي الله عنها وأرضاها ونفعنا برضاه عنها.

الزَّوجة الرابعة: حفصة بنت عمر بن الخطاب:

تاريخ الولادة: (١٨) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: المدينة المنوَّرة (٣) للهجرة، ومدَّة زواجها (٨) سنوات.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة (٤١) هجريَّة.

أهم فضائلها:

أ ـ كانت أديبة كاتبة، طلقها ﷺ فجاءه جبريل فقال: «**أَرجع حفصة فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها زوجتك في الجنة**».

ب ـ وقد حفظت أوَّل مصحف جُمع في عهد أبي بكر في بيته.

وهي رضي الله عنها كان لها حال مع الله تعالى، إذ كانت صوَّامة قوَّامة، كثيرة العبادة والصيام والطاعة، وصفاتها الطيبة كثير منهمرة، رضي الله عنها ونفعنا برضاه عنها.

الزَّوجة الخامسة: زينب بنت خزيمة:

تاريخ الولادة: مكة المكرمة (٢٦) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: المدينة المنوَّرة، رمضان (٣) للهجرة، ومدَّة زواجها (٨) أشهر.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة (٣) هجريَّة

أهم فضائلها:

أ ـ كانت كثيرة المعروف والصدقة وتحب إطعام المساكين، لذلك لُقِّبت بأُمِّ المساكين.

ب ـ وهي أخت أُمِّ المؤمنين بنت الحارث لأُمِّها.

وهي رضي الله عنها من صفاتها: الكرم والجود والعطاء، وقد أعطاها الله هذه المنقبة حتى صارت تُلَقَّب بأُمِّ المساكين.

الزَّوجة السادسة: هند بنت حذيفة أُمّ سلمة المخزومية:

تاريخ الولادة: مكة المكرمة (٣٠) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: المدينة المنوَّرة (٤) للهجرة، ومدَّة زواجها (٧) سنوات.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة، شوال (٦١هـ)، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين.

أهم فضائلها:

أ ـ أوَّل من هاجرت إلى الحبشة.

ب ـ ذات جمال وعلم ورجاحة عقل، ومشورتها على النبي ﷺ يوم حُنين مشهورة.

ج ـ قال النبي ﷺ: «**أنتِ من أهلي**».

وهي رضي الله عنها كانت مخلصة في تقديرها للنبي ﷺ وكانت على قَدَمٍ كبيرة من الإخلاص والتُّقى، رضي الله عنها ونفعنا برضاه عنها.

الزَّوجة السابعة: زينب بنت جحش (أم المساكين الثانية وتُكَنَّى بأُمِّ الحكم):

تاريخ الولادة: مكة المكرمة (٣٠) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: المدينة المنوَّرة (٥) للهجرة، ومدَّة زواجها (٦) سنوات.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة (٢٠هـ).

أهم فضائلها:

أ ـ قال ﷺ عنها: «**إنَّ زينب بنت جحش أوَّاهة**»، وقال ﷺ:

«**أسرعكنَّ لحاقاً أطولكنَّ يداً**». فكانت السيِّدة زينب أول النساء موتاً بعده.

ب ـ وهي أكثرهنَّ تصدُّقاً ورعاية للمساكين، وكانت تجيد الدّبغ والخرز فتعمل وتتصدَّق بنتاج عملها.

ج ـ كانت تفخر على أقرانها بأن زواجها كان بأمر من الله.

وهي ﵂ ذات جمال وهيئة جميلة، وكانت لها حظوة عند النبي ﷺ، وهي التي زوَّجها المولى الكريم الباهر العظيم والتي قال عنها رسولنا الأكرم: «**أولكنّ بي لحوقاً أطولكنّ يداً**» فكانت هي. وقد توفيت ودُفنت في البقيع.

الزَّوجة الثامنة: الجُوَيْرِية بنت الحارث:

تاريخ الولادة: (١٦) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: (٥هـ) بعد غزوة بني المصطلق، ومدَّة زواجها (٦) سنوات.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة (٥٦هـ).

أهم فضائلها:

أ ـ سُبيت في غزوة بني المصطلق، فخرجت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها فدفع النبي ﷺ لها الفداء وتزوَّجها، فقال لها الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا (أي: اتركوهم) فأعتقوهم جميعاً.

ب ـ تقول السيِّدة عائشة: «فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها».

ج ـ كانت كثيرة الصيام والعبادة.

وهي ﵂ أعطاها الله تعالى لمحة من الجمال، لما أتت عائشة تريد الاستعانة على فكاك رقبتها من ثابت بن قيس قالت: «أخشى أن يراها رسول الله ﷺ فيرغب بها». وهكذا كان، فقال لها رسول الله ﷺ:

«**أعينك على فكاك نفسك وأتزوجك**»، فكانت بركة قومها.

الزَّوجة التاسعة: صفيَّة بنت حيي بن أخطب:

تاريخ الولادة: خيبر (١٠) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: أثناء الرُّجوع من خيبر (٧هـ)، ومدَّة زواجها (٤) سنوات.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة (٥٠هـ).

أهم فضائلها:

أ ـ كانت حليمة صادقة نبيلة.

ب ـ دافعت عن عثمان في محنته وصارت تزوُّده بالماء والطعام أثناء محاصرته في داره.

ج ـ دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام فذكرت له ذلك، فقال: «**ألا قلتِ: وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمَّد وأبي هارون وعمِّي موسى**».

وهي رضي الله عنها كانت ذات حُسن وجمال، ولها خصوصية عند رسولنا محمد ﷺ، وكان من سماتها الصدق واتباع الحق والجهر به، وكان لها موقع تقدير من الصحابة الكرام.

الزَّوجة العاشرة: رملة بنت أبو سفيان (لقبها أُمّ حبيبة):

تاريخ الولادة: (٣٠) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: وفدت على المدينة المنوَّرة وبنى فيها في السَّابعة للهجرة عقب عودته من خيبر، ومدَّة زواجها (٤) سنوات.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة (٤٤هـ).

أهم فضائلها:

أ ـ هاجرت مع زوجها إلى الحبشة وتنصّر هناك ومات.

ب ـ خطبها النبي ﷺ من النجاشي ملك الحبشة.

ج ـ ودفع النجاشي مهرها وكان زواجها بركة.

وهي رضي الله عنها كانت لها خصوصية عند رسول الله ﷺ وذلك كرجاحة عقلها وحصافة أمرها، وورد أن أباها أبا سفيان أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ وذلك قبل إسلامه فأبت أن تجلسه عليه فقال لها: لا يليق لي أن أجلس على هذا الفراش، فقالت: لا يحق لك أن تجلس عليه فأنت مشرك، وإنه فراش رسول الله ﷺ.

الزَّوجة الحادية عشر: ميمونة بنت الحارث (كان اسمها بُرَّة فسمَّها النبيّ ﷺ ميمونة):

تاريخ الولادة: مكة المكرَّمة (١٨) قبل الهجرة.

تاريخ زواجها: بـ(سَرِف) قرب مكة بعد عمرة القضاء (٧هـ)، ومدَّة الزواج (٥) سنوات.

تاريخ الوفاة: مكة المكرمة بـ(سرف) (٥١هـ).

أهم فضائلها:

أ ـ قال ﷺ: «**الأخوات مؤمنات، ميمونة زوج النبيِّ ﷺ وأختها أم الفضل بنت الحارث وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة وأسماء بنت عُميس وهي أختهنَّ لأُمِّهنَّ**». رواه الحاكم.

ب ـ قالت عائشة عنها: «إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرَّحم».

وهي رضي الله عنها أخت لبابة بنت الحارث زوجة العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام.

الزَّوجة الثانية عشر: مارية بنت شمعون القبطيَّة:

تاريخ الولادة: صعيد مصر محافظة أسيوط.

تاريخ زواجها: المدينة المنوَّرة (٧هـ) وكانت ملك يمين، ومدَّة الزواج (٤) سنوات.

تاريخ الوفاة: المدينة المنوَّرة (١٦هـ).

أهم فضائلها:

أ ـ قال ﷺ: «**إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمَّى فيها القراط**[١]**، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمَّة ورحماً** ـ أو قال ـ **ذمَّة وصهراً**».

وهي رضي الله عنها أهداها للنبي ﷺ ملك مصر المقوقس فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها وأنجبت منه ولده إبراهيم الذي عاش (١٨) شهراً وانتقل إلى الله.

---

(١) القراط: القبط.

منظومة الدرر المخزونة

الحمدُ للَّهِ الكريمِ الهادي ... ذي الفضلِ والإحسانِ والأيادي

وبعدُ إنَّ هذه منظومةْ ... سَطرتُ فيها دُرراً مخزونةْ

حصرتُ فيها كلَّ بنتٍ للنبي ... مع زوجِها أولادِها قولٌ رَضِي

أولادُه البناتُ من خديجةْ ... كانتْ له خيراً وذَا وليجةْ

فاكبرُ البناتِ بالإطلاقِ ... فزينبٌ مع كرمِ الأخلاقِ

وزوجُها ابْنُ الخالةِ الربيعِ ... أبو العاصِ صهرُه الشفيعِ

قد أنجبتْ من الأولادِ اثنينِ ... أمامَة عليّاً ذَا لاميّنِ

وفاتُها وفي البقيعِ غُيبتْ ... وفي ثمانِ الهجرةِ قد دُفنتْ

وبعدَها رُقيةُ النقيةْ ... وزوجُها عثمانُ ذو الهديةْ

قد هاجرَا إلى النجاشي بالعرَضْ ... وفاتُها في طيبةٍ بعدَ المرضْ

قد أنجبتْ لهُ صبيّاً ذَكَرا ... قد أسمياهُ عبدُ اللَّه ذُكرا

وأُمُّ كلثومٍ فقدْ فازَ بِها ... عثمانُ ذو النورينِ قد بَاهَ بِها

وذاكَ بعدَ أختِها رُقيةْ ... كانتْ له من نعمةٍ مرضيةْ

ما أنجبتْ مِنَ الأولادِ أَحَدا ... وفاتُها في تسعةٍ ذَا أبَدا

ورابعُ البناتِ بضعةُ الرسولْ ... فاطمةُ الزهراءِ أمٌّ للأُصولْ

زوَّجَها المولىٰ عليّاً بالسَّما ... قد كانَ صِهراً للنبى ثُمَّ سَما

قد أنجبتْ من الأولادِ أربعةْ ... الحسنُ ثم الحسينُ اتْبَعَه

وأُمُّ كلثومٍ كذَا بعدَهُما ... زينبٌ كانتْ في الورىٰ مثلَهما

أما الذكورُ قاسمٌ قد عَاشَ ... من السنينَ ثمَّ بعدُ مَاتَ

وعبدُ اللَّهِ الطاهرُ والطيبُ ... ماتَ صغيراً قبرُه مغيبُ

وإبراهيمُ أُمُّه القبطية — قد رضيتْ بموتِه رَضِيةْ
وأسألُ المولىٰ الكريمَ الهاديَ — حبهُمُ ذُخْراً لكلِّ هَادي
والحمدُ للَّهِ ختاماً مثلَ ما — بدأته كانَ الكرامُ العُلما

* * *

ذكر أولاد النبي ﷺ الذكور والإناث وأزواجهم وأولادهم رضي الله عنهم، وقد ألهمني الله ﷻ فنظَّمت أولاد النبي ﷺ الذكور والإناث وأزواجهم وأولادهم **فقلت في البداية:**

الحمد للَّه الكريم الهادي — ذي الفضل والإحسان والأيادي

الشَّرح

فقد حمدت الله تعالى فهو الذي يستحق الحمد على السرَّاء والضرَّاء، وهو الكريم المتعال والهادي إلى الصراط المستقيم، كما أنه جل جلاله صاحب الفضل والإحسان والكرم.

* * *

وبعدُ أنَّ هذه منظومهْ — سطرت فيها درراً مخزونهْ
حصرت فيها كل بنت للنبي — مع زوجها أولادها قول رضي

الشَّرح

إن النظم هو كما قال العلماء: (من حفظ المتون نال الفنون)، وهو أوقع في النفس وأمكن في الحفظ والبقاء؛ لذلك سطَّرت هذه الدرر الرائعة المخزونة، والتي أتيت فيها على جهة الحصر أسماء بنات النبي ﷺ مع أزواجهن وأولادهن.

وقد أنجب عليه الصلاة والسلام سبعة أولاد من خديجة، وهأنذا أذكر الذكور منهم مع أحوالهم والبنات مع أولادهن وأزواجهن، وأسأله

تعالى أن يجعلها أقوالاً مرضية يرضى عني بها وعن أولادي في الحياة وبعد الممات.

* * *

أولاده البنات من خديجهْ كانت له خيراً وذا وليجهْ

الشَرح

أولاد النبي ﷺ كل البنات من خديجة رضي الله عنها والتي كانت لرسولنا محمد ﷺ خير معين ومدخل ومستراح جمعت معاني الفضائل كلها، رضي الله عنها.

* * *

قلت:

فأكبر البنات بالإطلاق فزينب مع كرم الأخلاق

وزوجها ابن الخالة الربيع أبو العاص صهره الشفيع

الشَرح

الأولى: السيدة زينب بنت محمد من خديجة رضي الله عنها، فهي كبرى بنات الرسول عليه الصلاة والسلام، وتسمى صاحبة القلادة، تزوجها أبو العاص بن الربيع ابن خالتها هالة بنت خويلد، وقد هاجرت مع أبيها وقد بقي زوجها على دينه في مكة حتى أُسر في معركة بدر الكبرى، فطالبه الرسول عليه الصلاة والسلام بفراقها، ففارقها، ثم فدتْهُ زينب بقلادة ألبستها إياها خديجة رضي الله عنها يوم زفافها، فأطرق الصحابة مأخوذين فقال لهم رسول الله ﷺ والدموع حبيسة عينيه: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا**»، قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها»[1].

---

(١) رواه أبو داود.

ثم بعد ذلك قذف الله في قلبه الإسلام والإيمان فآمن ثم أتى المدينة فرد الرسول ﷺ إليه ابنته زينب رضي الله عنها.

وكانت كريمة الأخلاق طيبة النفس رضية.

* * *

قلت:

قد أنجبت من الأولاد اثنين   أمامة علياً ذا لامين

الشَرح

وقد أنجبت السيدة زينب من زوجها أبو العاص ولدين: أمامة رضي الله عنها، وقد تزوجها سيدنا علي رضي الله عنه، بوصية من السيدة فاطمة الزهراء، ثم تزوجت بعد وفاة سيدنا علي رضي الله عنه المغيرة بن نوفل، وأنجبت السيدة زينب علياً؛ ولكنه توفي صغيراً كما ذكر.

* * *

قلت:

وفاتها وفي البقيع غيبت   وفي ثمانِ الهجرة قد دفنت

الشَرح

توفيت السيدة زينب رضي الله عنها في السنة الثامنة من الهجرة بحادث حيث نخس هبار ابن الأسود، وقيل: خالد بن عبد قيس بالرمح بعيرها حيث كانت في الهودج فوقعت وألقت حملها وماتت، فحزن رسول الله ﷺ عليها حزناً شديداً، وقد دفنت رضي الله عنها في بقيع الغرقد.

* * *

قلت:

وبعدها رقية النقيهْ   زوَّجها عثمان ذو الهديهْ

قد هاجرا إلى النجاشي بالعرض   وفاتها في طيبةٍ بعد المرض
قد أنجبت له صبيّاً ذكراً   قد أسمياه عبد اللَّه ذكرا

الشَّرح

الثانية: وابنة رسولنا محمد ﷺ الثانية هي: رقية، وقد زوَّجها رسول الله ﷺ عتبة بن أبي لهب قبل مبعث رسولنا محمد، ولما بعث فرَّق رسول الله ﷺ بينهما ولم يدخل بها، ثم زوَّجها سيدنا عثمان بن عفان صاحب اليد المعطاءة، والذي كان يقدم الكثير للصحابة الكرام.

وقد هاجرا بعد زواجهما إلى الحبشة وقد أنجبت له ولداً ذكراً وقد أسمياه: عبد الله، وقد عقره الديك في وجهه فمرض ومات، وكني به وعمره ست سنوات كما ذكر، ولكن لم تُكتب له الحياة، وُلدت السيدة رقية وعمر النبي ﷺ ثلاث وثلاثون، وأسلمت رقية مع أمها خديجة، وبُعث النبي وعمره أربعون سنة، فعلى هذا يكون عمر رقية عند إسلامها سبع سنوات، وقد مرضت السيدة رقية رضي الله عنها مرجع رسول الله ﷺ من معركة بدر وتخلَّف عثمان عن بدر بسبب مرض زوجته، وتوفيت بعد ذلك وقد حزن سيدنا عثمان رضي الله عنه حزناً شديداً، وعمرها اثنان وعشرون سنة ودفنت في البقيع سنة (٢) هجرية.

* * *

قلت:

وأم كلثوم فقد فاز بها   عثمان ذو النورين قد باه بها
وذاك بعد أختها رقية   كانت له ذي نعمة مرضيهْ

الشَّرح

البنت الثالثة: السيدة أم كلثوم رضي الله عنها، وكان قد عقد عليها عتيبة بن أبي لهب، ولما بُعث رسول الله ﷺ فرَّق بينهما بعد نزول سورة المسد،

ولما توفيت السيدة رقية رضي الله عنها عرض عمر بن الخطاب حفصة بعد وفاة زوجها على عثمان بن عفان، فلم يرد عليه لأنه سمع رسول الله ﷺ يذكرها، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال: «**هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج أنا حفصة، وأزوِّج عثمان خيراً منها أم كلثوم**». وإن سيدنا عثمان رضي الله عنه لم ينجب منها أولاداً، وتوفيت سنة (٩) من الهجرة، ودفنت في البقيع.

* * *

قلت:

ورابع البنات بضعة الرسول	**فاطمة الزهراء أُمّاً للأصول**
زوجها المولى عليّاً بالسما	**قد كان صهراً للنبي وسما**
قد أنجبت من الأولاد أربعه	**الحسن ثم الحسين اتبعه**
وأم كلثوم كذا بعدهما	**زينب كانت في الورى مثلهما**

الشَرح

الرابعة: البنت الرابعة السيدة فاطمة الزهراء البتول رضي الله عنها، هي السيدة الشريفة الطاهرة والبضعة النبوية فاطمة الزهراء بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشية الهاشمية وأم الحسنين، رضي الله تعالى عنها.

وُلدت قبل المبعث بقليل، وأمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكانت هي وأم كلثوم أصغر بنات النبي ﷺ، تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذي القعدة أو قبيله من سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

كانت أصغر بنات النبي ﷺ، وكان ﷺ يحبها ويكرمها ويُسر إليها، ومناقبها غزيرة جداً.

كانت رضي الله عنها صابرة ديِّنة، خيِّرة، صيِّنة، قانعة، شاكرة لله تعالى،

ويكفيها شرفاً وفضلاً، قول النبي ﷺ: «**وإنما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها**»، وقد قال النبي ﷺ في مرضه: «**إني مقبوض في مرضي هذا**»، فبكت، ثم أخبرها أنها أول أهله لحوقاً به وأنها سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت وكتمت ذلك، فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما أسرَّ إليها، وما رؤيت رضي الله عنها ضاحكة بعد وفاة رسول الله ﷺ وَوَجَدت عليه وَجْداً عظيماً.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت: أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: «فاطمة»، قيل: من الرجال؟ قالت: «زوجها».

توفيت رضي الله عنها بعد وفاة النبي بستة أشهر أو أقل بقليل ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ودفنت ليلاً، وصلّى عليها العباس ونزل في حفرتها هو وعلي والفضل رضي الله عنهم.

قال الحافظ ابن حجر وغيره: «انقطع نسل النبي ﷺ إلا من فاطمة». اهـ.

أقول: الذكور من أولاده ﷺ ماتوا صغاراً، وأما البنات فإن رقية رضي الله تعالى عنها وَلدتْ عبد الله بن عثمان ولكن توفي صغيراً، وأما أم كلثوم رضي الله تعالى عنها فلم تلد، وأما زينب رضي الله تعالى عنها فولدت عليّاً ومات صغيراً؛ فاختصَّت فاطمة رضي الله تعالى عنها بما لم يشركها فيه غيرها من أخواتها، وكيف لا تكون لها هذه الخصوصية وقد قال النبي ﷺ: «**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون**» إلى غير ذلك مع ما روي من دعائه ﷺ بالبركة في نسلها.

وقد زوَّجها رسولنا الأكرم لسيدنا علي رضي الله عنه بأمر من الله تعالى، وكفاه بذلك شرفاً، وقد أنجبت السيدة فاطمة أربعة أولاد:

سيدنا الحسن رضي الله عنه:

فهو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، سبط نبي الإسلام محمد وحفيده، أطلق عليه النبي محمد ﷺ لقب سيد شباب أهل الجنة، كنيته أبو محمد، وُلد في النصف من شهر رمضان عام (٣هـ) وتوفي سنة (٥٠هـ) ودُفن في البقيع. أبوه: علي بن أبي طالب ابن عم رسول الإسلام رابع الخلفاء الراشدين. أمه: فاطمة بنت النبي محمد بن عبد الله ﷺ، وهو أول ولد لسيدنا علي رضي الله عنه من فاطمة الزهراء، استلم الخلافة بعد استشهاد والده لستة أشهر فقط، ثم عقد صلحاً مع معاوية بن أبي سفيان فسلّمه الحكم بعده.

وكان رسول الله ﷺ يحبه حبّاً جمّاً، وكثيراً ما كان يحمله على كتفه ويقول: «**اللَّهُمَّ إني أحبّه فأحبّه**».

وورد أنه قال: «**من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**». وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ، وقد كان وجهه أبيض مشرباً بحمرة، وكان كريماً معطاءً، رضي الله عنه.

استشهد رضي الله عنه مسموماً مغدوراً سنة (٥٠) هجرية ودُفن بالبقيع.

الحُسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي:

وهو الولد الثاني من السيدة فاطمة رضي الله عنها هو سيدنا الحسين رضي الله عنه، وهو سبط النبي محمد رسول الإسلام وحفيده ويُلقّب بسيد شباب أهل الجنة، خامس أصحاب الكساء، كنيته أبو عبد الله، وُلد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين.

وأن معاوية بن أبي سفيان لما مات، وخَلَّف ابنه يزيد، تخلَّف الحسين عن مبايعته، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، فأقام فيها أشهراً، ودعاه إلى الكوفة أشياعه فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، وكتبوا

إليه فأجابهم، وخرج من مكة مع مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله، وعلم يزيد بسفره فوجَّه إليه جيشاً اعترضه في كربلاء فنشب قتال عنيف أُصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه، فقطع رأسه شَمِر بن ذي الجوشن (قاتله الله)، وأرسل رأسه ونساءه وأطفاله إلى دمشق، فتظاهر يزيد بالحزن عليه، حتى إنه لم يقتص من قتلة الحسين.

دُفن جسده في كربلاء، واختلف في الموضع الذي دُفن فيه الرأس فقيل: في دمشق، وقيل: في كربلاء، مع الجسد، وقيل: في مكان آخر ولأهل مصر اعتقاد أن رأسه مدفون عندهم وتشتد الزيارة عنده، فتعددت المراقد، وتعذرت معرفة مدفنه، كان مقتله يوم العاشر من محرم سنة (٦١) هجرية، ويسمى بعاشوراء وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين.

وُلد الحسين بن علي في المدينة المنورة بتاريخ (٣) شعبان سنة (٤هـ) وأراد أبوه أن يسميه حرباً، فسمّاه جده محمد بن عبد الله: الحسين، وأذَّن له في أُذنه، ودعا له، وذبح عنه يوم سابعه شاة، وتصدَّق بوزن شعره فضة، وكان يقول عنه جده محمد بن عبد الله: «**حسين مني وأنا منه، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط**».

نشأ الحسين في بيت النبوة بالمدينة ست سنوات وأشهراً، حيث كان فيها موضع الحب والحنان من جده النبي ﷺ، فكان كثيراً ما يداعبه ويضمه ويقبله، وكان يشبه جده النبي ﷺ خَلقاً وخُلُقاً، فهو مثال للتديُّن في التقى والورع، وكان كثير الصوم والصلاة، يطلق يده بالكرم والصدقة، ويجالس المساكين، حجَّ خمساً وعشرين حجة ماشياً.

❑ أم كلثوم وزينب:

أما الولد الثالث والرابع: أم كلثوم، وبعدها زينب أولاد سيدنا علي بن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنها، أما المحسن فقد مات صغيراً.

وأما عدم ذكرها في حديث الرداء فإنه لا ينفي وجودها؛ لأن وجودها ثبت في كتب التاريخ والتراجم، ومثلها في ذلك أختها أم كلثوم فهي لم تُذكر أيضاً، ويحتمل أن يكون ذلك بسبب تقدُّم نزول الآية على ولادتهما، فالآية من سورة الأحزاب وقد نزلت في السنة الخامسة من الهجرة، ومن المعلوم أن عليّاً تزوج فاطمة في السنة الثانية وقد بنى بها بعد بدر فولدت له الحسن والحسين ومحسناً وزينب وأم كلثوم، كذا في «البداية والنهاية» لابن كثير، فكونها سبقها ثلاثة أبناء يفيد تأخُّر ولادتها عن السنة الخامسة من الهجرة النبوية، والله أعلم.

* * *

قلت:

أما الذكور قاسم قد عاش	**من السنين ثم بعد مات**
وعبد اللّه الطاهر والطيب	**مات صغيراً قبره مغيَّب**
وإبراهيم أمه القبطيهْ	**قد رضيت بموته رضيهْ**

الشَرح

أما أولاد رسولنا محمد ﷺ الذكور، فهم:

١ ـ **القاسم**: من السيدة خديجة رضي الله عنها، وقد توفي وعمره سنتان، وقالوا: إن محمداً صار أبتراً. فأنزل الله تعالى سورة الكوثر، وقد توفي في مكة.

٢ ـ **عبد الله**: من السيدة خديجة رضي الله عنها ولُقِّب بالطاهر، والطيب لمولده بعد النبوة، وقد توفي صغيراً في طفولته في مكة.

٣ ـ **إبراهيم**: أمه مارية القبطية رضي الله عنها، وقد وُلد في المدينة المنورة بالعالية، وقد سُرَّ به النبي ﷺ سروراً كبيراً، ولما بشَّره أبو رافع حيث كانت القابلة زوجته، وهب له عبداً. ثم إن النبي ﷺ حلق له شعره يوم سابعه وعقَّ عنه، ومات وهو في حالة الفطام في السنة العاشرة من

الهجرة وعمره ثمانية عشر شهراً، وصلّى عليه رسول الله ﷺ ودُفن في البقيع.

* * *

قلت:

وأسأل المولى الكريم الهادي حبّهم ذخراً لكل هادي
والحمد للّه ختاماً مثل ما بدأته كان الكرام العلما

الشَرح

وإني أسأل الله تعالى فهو الكريم الهادي إلى محبة أزواج النبي ﷺ وأولادهم الكرام.

وأسأله أن يجعل صدقَ محبتنا لهم، ذخيرةً لنا ليوم القيامة ولكل من سلك طريق الهداية والمحبة، وإني أحمد الله تعالى دائماً، مثل ما بدأت به حامداً المولى على جلائل نِعَمِه.

وهذه عادة العلماء الأكابر حيث كانوا إذا ابتدؤوا بأمر بدؤوه بالحمد وختموه به، وهذا فضل من الله تعالى أن جعلنا وإياكم من الحامدين على نِعَمِه وإفضاله.
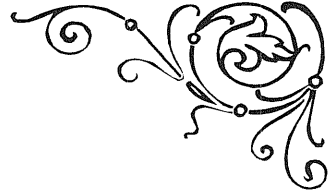
القسم الثالث

المنتسبون إلى رسول الله ﷺ
آل بيت النبي ﷺ

وأشــرف الأنــســاب بــالإطــلاق ... مــن انــتـمــى لــذوي الأخــلاق

لـم يـطـلـب الأجـر عـلـى مـا قـدمـا ... إلا الـمـودة لـمـن لـه انـتـمـىٰ

وقـد سـمـعـت شـيـخـنـا الـرنـكـوسـي ... مـن مـلاء الـقـلـب مـن الـكـؤوسِ

آل الــنــبــي ثــلاثــة عــيــون ... جـيـم وحـاء عـلـمـه مـخـزون

والـعـلـمـاء قـالـوا قـولاً مـوجـزا ... فـي حـبـهـم كـل صـدوق يُـحـتـذى

المنتسبون إلى رسول الله ﷺ
آل بيت النبي ﷺ

وأشرف الأنساب بالإطلاق من انتمى لذوي الأخلاق

الشَرح

إن أفضل الأنساب على وجه الأرض منذ أن خلق الله تعالى الخليقة هي أنساب الأنبياء والرسل، وكل من انتسب إليهم، وأفضل الأنساب وأشرفها نَسَب من انتمى وانتسب إلى صاحب الأخلاق الكريمة سيدنا محمد ﷺ.

❑ فضل من الله:

إن من فضل الله ونعمته عليَّ وعلى عائلتي أن أكرمنا بانتسابنا إلى رسوله الكريم، فكل نسب وسبب ينقطع إلا نسبي وسببي، كما ورد.

ولقد قدم لي النسب مع شجرته المباركة عم والدي السيد سعيد فخري رحمه الله سنة (١٩٦٩م) وذلك عند تفرُّغي وبدايتي لطريق العلم والمعرفة.

فعرضت هذا النسب الشريف على نقيب الأشراف في دمشق السيد محمد سعيد أفندي حمزاوى رحمه الله تعالى وذلك بعد أن كتبت عنه نسخة أخرى فوضع عليها تقريظاً سنة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، وذلك بموافقة وصحبة شيخي الشيخ محمود الرنكوسي، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته.

وشرف لي أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ اثنين وثلاثين رجلاً وذلك حسب التسلسل:

١ ـ سيدنا محمد رسول الله	٢ ـ السيدة فاطمة الزهراء
٣ ـ سيدنا الإمام الحسين	٤ ـ الإمام زين العابدين
٥ ـ الإمام زيد	٦ ـ الإمام محمد
٧ ـ الإمام جعفر	٨ ـ الإمام المهدي
٩ ـ الإمام ثابت	١٠ ـ الإمام حازم
١١ ـ الإمام عبد الله	١٢ ـ الإمام علي الأفطس
١٣ ـ الإمام حسن الشريف	١٤ ـ الإمام حسين
١٥ ـ الإمام حسن	١٦ ـ الإمام حسين
١٧ ـ الإمام عبد الله	١٨ ـ الإمام بدر الدين
١٩ ـ السيد حسن ابن السلطان	٢٠ ـ السيد محمد
٢١ ـ السيد بدر الدين	٢٢ ـ السيد سعد الدين
٢٣ ـ السيد ناصر	٢٤ ـ السيد صالح الشريف
٢٥ ـ السيد علي	٢٦ ـ السيد ديب
٢٧ ـ السيد سعد الدين	٢٨ ـ السيد إبراهيم فخري
٢٩ ـ السيد حسن فخري	٣٠ ـ السيد سعيد فخري
٣١ ـ السيد محمود فخري	٣٢ ـ السيد خضر فخري
٣٣ ـ السيد صلاح الدين فخري	

أسأل الله تعالى أن يجعل شفاعة سيدنا محمد ﷺ لمن ذكر في هذا النسب، ولكل من اتبعه وأحبَّه وصلَّى عليه إلى يوم الدين وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

أقول: إن الله اختار من بين الأنبياء محمداً ﷺ وجعله سيد ولد آدم، كما ذُكر.

وكذلك اختار أهل بيته وخصَّهم بخصوصيات متعددة، وجعل فيهم خلافة النبوة، إذ الخلافة في قريش، وأوجب علينا محبتهم، إذ هي من لوازم محبة رسولنا محمد ﷺ حيث كان يحبهم ويوصي بمحبتهم واحترامهم وتقديرهم، وقد عمل بوصيته الصحابة والتابعون ومن بعدهم من العلماء والصالحين والمؤمنين.

وإننا نجد الكثير من أبناء عصرنا لم يعرفوا فضل آل البيت فضلاً عن مجافاتهم، وقد غاب عن الكثير مكانتهم ومحبتهم، ونحن ندين الله تعالى في محبتهم، ونعتبر أنفسنا من أسعد الناس بمودتهم ومحبتهم، ويكفينا قوله ﷺ: **«أذكركم الله في أهل بيتي»**.

وقال العلماء: تذكير الأمة بآل بيت رسول الله ﷺ يقتضي أن تذكرهم فيما تقدم، وذكرناه من جوانب عدة:

١ ـ إعطاؤهم حقوقهم كاملة غير منقوصة.

٢ ـ عدم الامتناع عن طلبهم ومطالبهم.

٣ ـ أن نحافظ ونحفظ مراتبهم ورتبتهم.

٤ ـ أن نعظمهم بالمحبة والمودة والكرم.

٥ ـ أن نعلي شأنهم في الدين والدنيا.

٦ ـ أن نقدمهم على غيرهم في المجلس والخطاب والكلام.

٧ ـ أن نجلَّهم عند الدخول والخروج والقيام والقعود.

٨ ـ أن نتمسك بهم وبخاصة إن كانوا من أهل العلم والتقوى.

وآل البيت رضي الله عنهم هم الذين تحرَّم عليهم الصدقة، وفي الحديث: **«إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس»**، وهم أزواجه وذريته وكل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب وهم بنو هاشم بن عبد مناف.

ودخول أزواجه ﷺ في آل بيته فيدل على ذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [٣٣].

فإن هذه الآية تدل حتماً على دخولهن في آل بيته؛ لأن سياق الآيات قبلها وبعدها الخطاب لهن.

عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة وسَطٌ بين الإفراط والتّفريط، والغلُوّ والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك عقيدتهم في آل بيت الرّسول الله ﷺ، فإنّهم يتولّون كلّ مسلم ومسلمة من نَسْل عبد المطّلب، وكذلك زوجات النبي ﷺ جميعاً، فيُحبُّونَ الجميع، ويُثنون عليهم، ويُنْزلونَهم منازلهم التي يستحقُّونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعسُّف، ويعرفون الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان وشرف النَّسَب، فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ، فإنّهم يُحبُّونه لإيمانه وتقواه، ولصُحبته إيّاه، ولقرابته منه ﷺ.

ومَنْ لم يكن منهم صحابيّاً، فإنّهم يُحبُّونه لإيمانِه وتقواه، ولقربه من رسول الله ﷺ ويَرَون أنَّ شرف النَّسَب تابعٌ لشرف الإيمان، ومن جمع الله له بينهما فقد جمع له بين الحُسْنَيَيْن، ومَن لم يُوَفَّق للإيمان، فإنَّ شرفَ النَّسَب لا يُفيدُه شيئاً.

ورحم الله الإمام الشافعي لما قال فيهم:

يا أهل بيت رسول اللّه حبكم فرض من اللّه في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

وقد ذكر الكثير من أهل العلم فضلهم، وكتبوا بذلك مؤلفات أفردوها بالتصنيف والتأليف؛ كالعقيدة الطحاوية، والآجري في «الشريعة»، وكتاب «جلاء الأفهام» لابن القيِّم، و«الصواعق» لابن حجر، و«ذخائر العقبى»، و«جواهر العقدين» للسمهودي، وغيرها من الكتب.

* * *

قلت:

لم يطلب الأجر على ما قدما إلا المودة لمن له انتمى

الشرح

لقد توافقت دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أن يبلغوا رسالات ربهم تطوُّعاً وطلباً لمرضاة الله تعالى، ولا يسألون الناس أجراً ولا جزاءً وكان شعارهم.

﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء: ١٠٩].

مع العلم أن ما قام به الأنبياء من الدعوة والإرشاد والتوجيه، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور والعمل على خدمتهم هو أعلى وأنبل من أن يقوَّم بالدراهم والدنانير أو بالمناصب والمقامات الدنيوية.

ولذلك لم يطلب رسول الله ﷺ أجراً ولا درهماً ولا ديناراً على دعوته، بل قال كما أمره الله تعالى في سورة الشورى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [٢٣].

والمراد من المودة والقربى: فكلمة المودة اتفقت كتب اللغة على أنها لا تعني إلا شيئاً واحداً وهو المحبة.

قال اللغوي ابن فارس في مادة: ودّ (الود)؛ أي: الحب وددته؛ أي: أحببتُه.

وقال الفيروزآبادي في باب (ود) (الود) والوداد؛ يعني: الحب.

وكلمة القرابة اتفقت كتب اللغة على أنها تعني: الوشيجة الرحمية لا غير.

وقال ابن فارس في مادة: (قرب) القربى: القرابة، وفلان قريبي ذو قرابتي، وقد وردت كلمة القربى في القرآن الكريم خمسة عشر مرة، وقد فهم جُلُّ المفسرين والعلماء بمختلف طبقاتهم لزوم ولاء أقرباء النبي ﷺ وآل بيته الكرام.

قلت:

وقد سمعت شيخنا الرنكوسي   من ملء القلب من الكؤوسِ
آل النبي ثلاثة عيون   جيم وحاء علمه مخزون

الشَرح

وقد سمعت شيخنا الشيخ محمود بعيون الرنكوسي رضي الله عنه، وهو الذي ملأ قلوبنا وقلوب المسلمين حبّاً صادقاً حيث سقاهم العلم الصحيح والسلوك الحسن والطريق السوي.

سمعته يقول: آل بيت النبي ﷺ ثلاثة عيون وجيم وحاء، وهذا من علومه التي أعطاه المولى وخصَّه بها.

ع ـ آل سيدنا علي رضي الله عنهم.

ع ـ آل سيدنا عقيل رضي الله عنهم.

ع ـ آل سيدنا العباس رضي الله عنهم.

ج ـ آل سيدنا جعفر رضي الله عنهم.

ح ـ آل الحارث وآل حمزة رضي الله عنهم.

* * *

قلت:

والعلماء قالوا قولاً موجزاً   في حبهم كل صدوق يحتذىٰ

الشَرح

إن العلماء الذين استغرق قلبهم حب آل بيت النبي ﷺ أجمعوا بأن محبتهم واجبة؛ لأن حبهم صورة صادقة على صدق المحب الذي يصدقون بقوله وفعله لإكرام آل بيت النبي ﷺ كما تقدم.

وبالذين صدقوا في هذه المحبة يقتدي بهم الناس جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل إلى يوم أن نلقى الله تعالى.

١٧/٤/٢٠٠٧
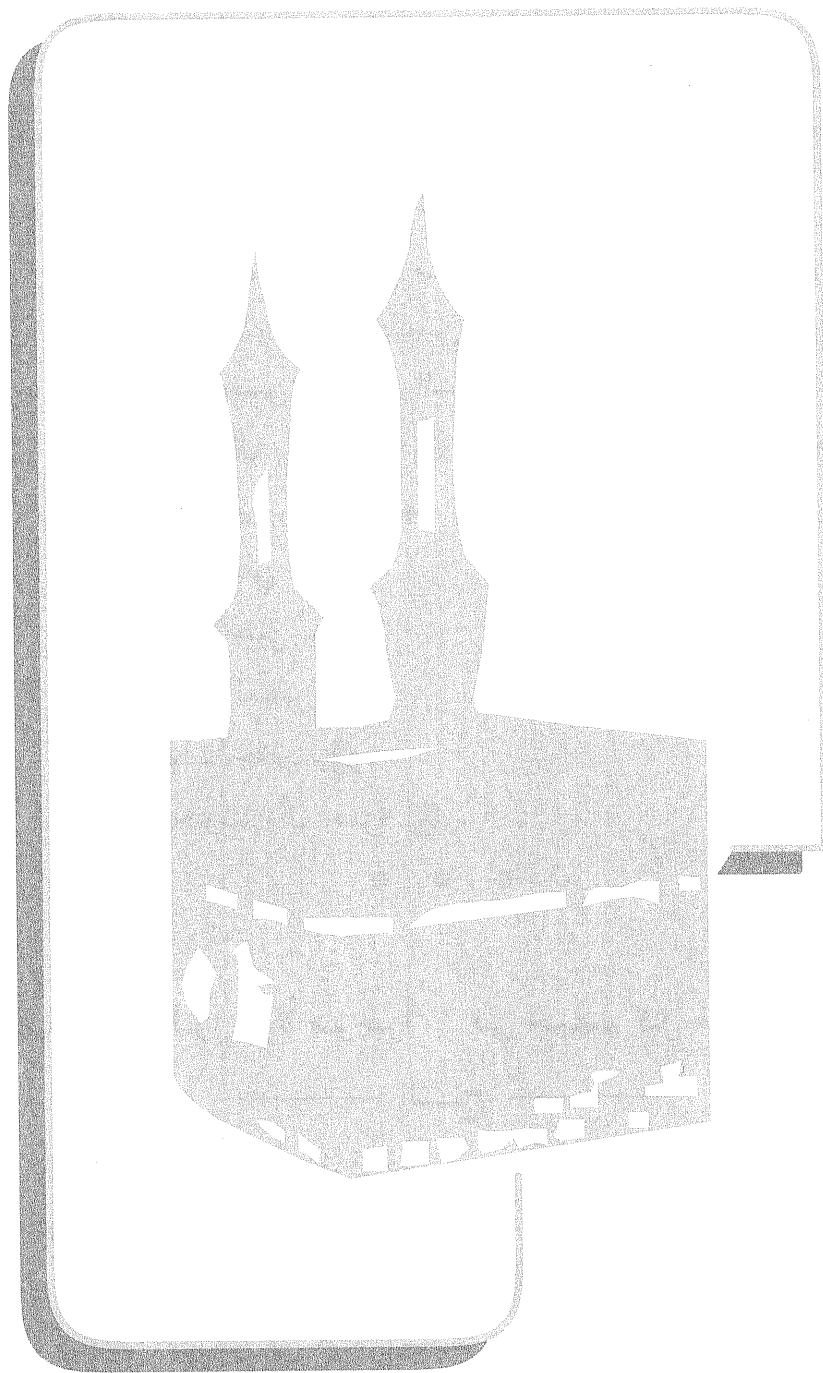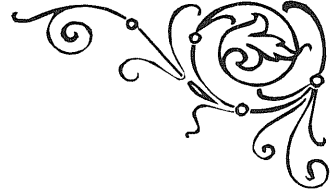
القسم الرابع

الاعتقاد في الصحابة رضي الله عنهم

صحابةُ المختارِ كلُّهم عدولْ وجلُّهم قد نقلَ عِلْمَ الرسولْ
فإن نَمى إلَينا أيُّ خَبَرِ عن خُلْفِهم لا تَمِلْ لِبشَرِ
قد امتطى الشر أضله الهوى لا قيمةً لقولِه وما تَلا
وما جرى من الحروبِ بينَهم فهو اجتهادٌ فيه شادُوا دينَهم
لن يبلغَ القائلُ رتْبةَ الصحابْ مهما علا فضلاً وعِلماً وخِطاب
فإنني ناصحُ كلَّ مَنْ خَطا جَرْحَ الصِّحابِ عَوّدَه عنِ الخَطا
هذا هوَ الحقُّ المبينُ الواضحُ وبالذي فيه الإناءُ ناضحُ

الاعتقاد في الصحابة رضي الله عنهم

قلت:

صحابة المختار كلهم عدول   وجلهم قد نقل عم الرسول

الشرح

◻ الاعتقاد في الصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً:

إن الله عز وجل جعل لكل شيء حواري وهم أنصار الله والأنبياء والأولياء، وهم صفوة الخلق صفاءً وعبادةً واستقامة.

وأصحاب النبي ﷺ هم الحواريون الصالحون وكلهم عدول بإجماع الأمة؛ لأنهم نقلوا لنا الدين والشرع بأمانة وصدق وبذلوا نفوسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.

قال الله عز وجل في رسول الله وأصحابه رضي الله عنهم: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٨٩)﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

وقال عنهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال عنهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ إلى أن قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا (٢٩)﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد ذكر أهل العلم قاطبة الثناء على الصحابة الكرام وبأنهم عدول من غير النظر إلى خلافاتهم واختلافهم.

وها أنذا أذكر أقوالهم باختصار:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فهذا مبحث لطيف في بيان عدالة أصحاب النبي ﷺ.

◻ تَعْرِيفُ الصَّحَابِيِّ:

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَر (ت٨٥٢هـ): «وَأَصَحُّ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الصَّحَابِيّ: مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِناً بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَيَدْخُل فِيمَنْ لَقِيَهُ: مَنْ طَالَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ أَوْ قَصُرَتْ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ وَمَنْ لَمْ يَرْوِ، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْزُ، وَمَنْ رَآهُ رُؤْيَةً وَلَوْ لَمْ يُجَالِسْهُ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضٍ كَالْعَمَى».

◻ تَعْرِيفُ الْعَدْلِ:

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «وَالْمُرَادُ بِالْعَدْلِ: مَنْ لَهُ مَلَكَةٌ تَحْمِلُهُ عَلَى مُلَازَمَةِ التَّقْوَى والْمُرُوءَةِ. وَالْمُرَادُ بِالتَّقْوَى: اجْتِنَابُ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ مِنْ شِرْكٍ أَوْ فِسْقٍ أَوْ بِدْعَةٍ».

◻ الإِجْمَاعُ عَلَى عَدَالَةِ الصَّحَابَةِ:

قَالَ الإِمَامُ ابنُ عَبْدِ الْبَرِّ (ت٤٦٣هـ): «وَنَحْنُ وَإِنْ كَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم قَدْ كُفِينَا الْبَحْثُ عَنْ أَحْوَالِهِم؛ لإِجْمَاعِ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - عَلَى أَنَّهُم كُلُّهم عَدُول...».

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ الصَّلَاحِ (ت٦٤٣هـ): «إِنَّ الأُمَّةَ مُجْمِعَةٌ عَلَى تَعْدِيلِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَمَنْ لَابَسَ الْفِتَنَ مِنْهُمْ فَكَذَلِكَ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ

الَّذِينَ يُعْتَدُّ بِهِم فِي الإِجْمَاعِ، إِحْسَاناً لِلظَّنِّ بِهِم، وَنَظَراً إِلَى مَا تَمَهَّدَ لَهُم مِنَ الْمَآثِرِ، وَكَأَنَّ اللهَ ﷻ أَتَاحَ الإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ نَقَلَةَ الشَّرِيعَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ».

* **فائدة:**

قَالَ الإِمَامُ الأَبْيَارِيُّ (ت٦١٦هـ): «وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِعَدَالَتِهِمْ ثُبُوتُ الْعِصْمَةِ لَهُم وَاسْتِحَالَةُ الْمَعْصِيَةِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ قَبُولُ رِوَايَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفِ بَحْثٍ عَنْ أَسْبَابِ الْعَدَالَةِ وَطَلَبِ التَّزْكِيَةِ، إِلَّا مَنْ يَثْبُتُ عَلَيْهِ ارْتِكَابُ فَادِحٍ، وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ وَالْحَمْدُ للهِ، فَنَحْنُ عَلَى اسْتِصْحَابِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَثْبُتَ خِلافُهُ، وَلَا الْتِفَاتَ إِلَى مَا يَذْكُرُهُ أَهْلُ السِّيَرِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ، وَمَا صَحَّ فَلَهُ تَأْوِيلٌ صَحِيحٌ».

* * *

قلت:

فإن نمى إلينا أي خبرِ	**عن خلفهم فلا تمل لبشرِ**
قد امتطى الشرَّ أضله الهوى	**لا قيمة لقوله وما تلا**
وما جرى من الحروب بينهم	**فهو اجتهاد فيه شادوا دينهم**

الشرح

إن أصحاب رسول الله ﷺ هم خير هذه الأمة، بل خير الناس بعد الأنبياء، كما قال ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[(١)].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم**»، وقد أثنى الله عليهم في كتابه، كما قال

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، وأفضل الصحابة على الإطلاق: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، رضي الله عنهم وعن سائر الصحابة، ولهذا تجب محبتهم والإيمان بفضلهم، وإنزالهم منازلهم، وهذا كله من الإيمان بالله ورسوله، ومن طاعة الله ورسوله، فحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، كما قاله الطحاوي رحمه الله.

وقال الإمام الطحاوي أيضاً: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نبغض أحداً منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم»، مع ذلك لا يجوز الغلو في أحد منهم، بتفضيله على من هو أفضل منه، أو بدعوى العصمة له، وهذا هو المنهج الوسط الذي تميز به أهل السُّنَّة والجماعة، فهم وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج، ومن يزعم أنه لا يحب بعض الصحابة، ولكن لا يبغضه ولا يسبه؛ لأنه قاتل صحابياً آخر، هذا القائل متبع لهواه، ولو قدر أن هذا القتال كان ذنباً ولم يكن له فيه عذر ولا تأويل لما سلبه فضل الإيمان وفضل الصحبة، فكيف إذا كان متأولاً.

هذا وقد قال سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

فسمى الطائفتين المتقاتلتين مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهما، ومن

منهج أهل السُّنَّة والجماعة الإمساك عما شجر بين الصحابة والتماس العذر لهم فيما جرى بينهم، هذا فيما صح من ذلك، وأنهم في أكثر ذلك مجتهدون مأجورون، إما مصيبون وإما مخطئون.

فالواجب على المسلم أن يلزم منهج أهل السُّنَّة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ وفي سائر مسائل الدين، فيبرأ من الإفراط والتفريط ليستقيم على المنهج القويم، والله الهادي إلى سواء السبيل، والله أعلم.

وبعد هذا كله، إن وصل إلينا أي خبر عن خلافهم فينبغي أن لا نميل إليه؛ لأن صاحبه قد امتطى الشر والقدح والذم في الصحابة الكرام، ومهما قال فإنه لا قيمة لقوله.

لذا قالوا:

وأوِّل التشاجر الذي ورد إن خضت فيها واجتنب داء الحسد

* * *

قلت:

لن يبلغ القائل رتبة الصحاب مهما علا فضلاً وعلماً وخطاب

الشَّرح

إن المرء مهما بلغ من العلم رتبة ومهما اكتسب في الحياة رفعةً وفضلاً، فإنه لن يصل إلى درجة الصحابة الكرام الذين حازوا القدح المعلى، ونالوا قصب السبق في صحبتهم وغزواتهم وإخلاصهم وحياتهم مع رسولنا محمد ﷺ، وفي الحديث الكريم: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[1].

* * *

(١) رواه البخاري.

قلت:

فـإنـنـي نـاصـحُ كـل مـن خـطـا   جرح الصحاب عوده عن الخطا

هـذا هـو الـحـق الـمـبـيـن الـواضـح   وبـالـذي فـيـه الإنـاء نـاضـح

الشَـرح

وإنني أنصح كل من سلك طريق الذم للصحابة الكرام وجرحهم بقول أو فعل أن يعود عن هذا الخطأ الجسيم والإثم الأليم، خاصة وأنهم نالوا رفعة من الله تعالى بصحبتهم لرسولنا محمد ﷺ، ونالوا الثناء المبارك من رسولنا ﷺ.

وهذه هي عقيدتنا بالصحابة الكرام؛ لأنها هي الطريقة الواضحة البينة الصادقة، وكل من قصد غير هذا الباب وولغ بلسانه حياتهم وسيرتهم فكل إناء بالذي فيه ينضح.

العشرة المبشرون بالجنة وفضلهم رضي الله عنهم

وأفضلُ الصحبِ منَ الأخيارِ عتيقُ ربي جاءَ في الأخبارِ
ثمَّ أبو الأشبالِ حفصٌ عمرُ آثارهُ في فَضْلهِ تَنْهمرُ
ثمَّ الحيا عثمانُنا قدْ مَلَكَهْ مدحُ الرسولِ قد أبانَ مَسْلَكَهْ
مدينةُ العلمِ عليٌّ فاذْرِ لِتكسبَ الخيرَ وكلَّ الأجرِ
ثم حواريُّ الرسولِ عوفُهم سعدٌ سعيدٌ طلحةٌ أمينُهم
بشَّرهمْ نبيُّنا بالفوزِ أعلى الجنانِ كلُّهم في عِزِّ

* * *

العشرة المبشرون بالجنة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم:

إن صحابة رسولنا محمد ﷺ هم أفضل هذه الأمة؛ لأنهم أبرّ قلوباً وأكثر علماً وأقوم هداية، وهم الذين خصَّهم المولى واختارهم لصحبة رسوله ﷺ، وهم الذين أقاموا الدين وبلَّغونا إياه وبذلوا الغالي والنفيس لرفعة الحق والشريعة.

فحبّهم سُنَّة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم شرف وفضيلة.

وقد فسَّر عبد الله بن عباس قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، قال: «هم أصحاب محمد ﷺ».

وقال سفيان الثوري في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨]، قال: هم أصحاب محمد ﷺ».

وعن وهب بن منبه في قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٥، ١٦]، قال: «هم أصحاب محمد ﷺ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ فجعلهم وزراءَ نبيِّهِ يُقاتِلون على دينه».

وقد ورد في فضلهم آيات وأحاديث كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي آيات عديدة ذكرهم الله تعالى وترضى عنهم.

وقد بشَّر رسولنا محمد ﷺ الكثير من الصحابة بالجنة: «**اللَّهُمَّ أكرمنا معهم يا الله**».

وخَصَّ عليه الصلاة والسلام بعض الصحابة بالذكر وبشَّرهم بالجنة، وبالخصوص العشرة من الصحابة رضي الله عنهم، وقد ألَّف الكثير من العلماء في

فضائلهم وذكرهم، وأرقى الكتب في ذلك كتاب «الرياض النضرة» للسيوطي، فارجع إليه.

* * *

قلت:

وأفضل الصحب من الأخيار عتيق ربي جاء في الأخبار

الشرح

◻ سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه:

هو: أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمي القرشي (٥٠ق.هـ - ١٣هـ/ ٥٧٣م - ٦٣٤م): هو أول الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشِّرين بالجنة، وهو وزير نبي الإسلام محمد وصاحبه، ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنورة، وهو خير الناس بعد الأنبياء والرسل، وأكثرُ الصحابة إيماناً وزهداً، وأحبَّ الناس إلى النبي محمد ﷺ. عادة ما يُلحَق اسمُ أبي بكر بلقب الصِّدِّيق، وهو لقب لقبه إياه النبي محمد لكثرة تصديقه إياه.

وورد في أحاديث عدة أن النبي ﷺ أسماه عتيقاً تفاؤلاً أن يعتقه الله من النار.

وُلد أبو بكر الصديق في مكة سنة (٥٧٣م) بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وكان من أغنياء قريش في الجاهلية، فلما دعاه النبي محمد ﷺ إلى الإسلام أسلم دون تردد، فكان أول من أسلم من الرجال الأحرار، ثم هاجر أبو بكر مرافقاً للنبي محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، وشهد غزوة بدر والمشاهد كلها مع النبي محمد ﷺ، ولما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه أمر أبا بكر أن يَؤمَّ الناس في الصلاة.

توفي النبي محمد ﷺ يوم الاثنين (١٢) ربيع الأول سنة (١١هـ)، وبويع أبو بكر بالخلافة في اليوم نفسه، فبدأ بإدارة شؤون الدولة الإسلامية من تعيين الولاة والقضاة وتسيير الجيوش، وارتدت كثير من القبائل العربية عن الإسلام، فأخذ يقاتلها ويرسل الجيوش لمحاربتها حتى أخضع الجزيرة العربية بأكملها تحت الحكم الإسلامي، ولما انتهت حروب الردة، بدأ أبو بكر بتوجيه الجيوش الإسلامية لفتح العراق وبلاد الشام، ففتح معظم العراق وجزءاً كبيراً من أرض الشام. توفي أبو بكر يوم الاثنين (٢٢) جمادى الآخرة سنة (١٣هـ) وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، فخلفه من بعده عمر بن الخطاب.

النسب:

أبوه: أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو التيمي القرشي.

أمه: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر التيمية القرشية.

زوجاته: قتيلة بنت عبد العزى، وأم رومان بنت عامر، وأسماء بنت عميس، وحبيبة بنت خارجة.

ذريته: عبد الرحمٰن، وعبد الله، ومحمد، وأسماء، وعائشة، وأم كلثوم.

* * *

قلت:

ثم أبو الأشباب حفصٌ عمرُ   آثاره في فضله تنهمر

الشَرح

□ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه:

هو: أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، المُلقب بالفاروق، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول

محمد، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيراً ونفوذاً، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهّادهم، تولّى الخلافة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديق في (٢٣) أغسطس سنة (٦٣٤م)، الموافق للثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة (١٣هـ)، كان ابن الخطاب قاضياً خبيراً وقد اشتهر بعدله وإنصافه الناس من المظالم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحق والباطل، وسميته أبو الأشبال لأن اسم حفص في اللغة هو اسم الأسد، فهو أبو الأسود بالقوة والعزم والشجاعة ﷺ، وآثاره وفضائله كثيرة وغزيرة اختصرتها إتماما للفائدة.

وهو مؤسس التقويم الهجري، وفي عهده بلغ الإسلام مبلغاً عظيماً، وتوسع نطاق الدولة الإسلامية حتى شمل كامل العراق ومصر وليبيا والشام وفارس وخراسان وشرق الأناضول وجنوب أرمينية وسجستان، وهو الذي أدخل القدس تحت حكم المسلمين لأول مرة وهي ثالث أقدس المدن في الإسلام، وبهذا استوعبت الدولة الإسلامية كامل أراضي الإمبراطورية الفارسية الساسانية وحوالي ثلثيّ أراضي الإمبراطورية البيزنطية.

تجلَّت عبقرية عمر بن الخطاب العسكرية في حملاته المنظمة المتعددة التي وجَّهها لإخضاع الفرس الذين فاقوا المسلمين قوة، فتمكن من فتح كامل إمبراطوريتهم خلال أقل من سنتين، كما تجلَّت قدرته وحنكته السياسية والإدارية عبر حفاظه على تماسك ووحدة دولة كان حجمها يتنامى يوماً بعد يوم ويزداد عدد سكانها وتتنوع أعراقها.

ولد بعد عام الفيل، وبعد مولد الرسول محمد ﷺ بثلاث عشرة سنة، وكان منزل عمر في الجاهلية في أصل الجبل الذي يقال له اليوم: جبل عمر، وكان اسم الجبل في الجاهلية: العاقر، وبه منازل بني

عدي بن كعب، نشأ في قريش وامتاز عن معظمهم بتعلُّم القراءة. عمل راعياً للإبل وهو صغير، وكان والده غليظاً في معاملته، وكان يرعى لوالده ولخالات له من بني مخزوم. وتعلَّم المصارعة وركوب الخيل والفروسية، والشعر. وكان يحضر أسواق العرب وسوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز، فتعلَّم بها التجارة، التي ربح منها وأصبح من أغنياء مكة، رحل صيفاً إلى بلاد الشام وإلى اليمن في الشتاء. كان عمر من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة فهو سفير قريش، فإن وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر رضوا به، بعثوه منافراً ومفاخراً. نشأ عمر في البيئة العربية الجاهلية الوثنية على دين قومه، كغيره من أبناء قريش، إلى أن أعز الله به الإسلام.

النسب:

أبوه: الخطاب بن نفيل بن عبد العزى.

أمه: حنتمة بنت هشام بن المغيرة.

أشقاؤه: زيد بن الخطاب، فاطمة بنت الخطاب.

زوجاته: قريبة بنت أبي أمية، وأم كلثوم مليكة بنت جرول، وزينب بنت مظعون، وجميلة بنت ثابت، وعاتكة بنت زيد، وأم حكيم بنت الحارث، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب.

ذريته: عبيد الله، وزيد الأكبر، وزيد الأصغر، عبد الله، حفصة، عبد الرحمٰن الأكبر، أبو شحمة عبد الرحمٰن الأوسط، عبد الرحمٰن الأصغر، عاصم، عياض، فاطمة، رقية.

* * *

قلت:

ثم الحيا عثمانُنا قد مَلَكَهْ   مدح الرسول قد أبان مسلكَهْ

الشَّرْح

❑ سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه:

هو: عثمان بن عفان الأموي القرشي (٤٧ق.هـ - ٣٥هـ/ ٥٧٧ - ٦٥٦م): ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام، يُكنّى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول ﷺ: رقية ثم بعد وفاتها تزوج أم كلثوم.

نسبه:

هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وهي ابنة عمة النبي ﷺ، فأمها هي البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ.

نشأته:

ولد بمكة، وفي رواية: أنه وُلد بالطائف، كان غنيّاً شريفاً في الجاهلية، وكان أنسب قريش لقريش. أنجبت أمه أروى: عثمان وأخته آمنة، وبعد وفاة عفان تزوجت أروى من عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي، وأنجبت منه ثلاثة أبناء وبنت هم: الوليد بن عقبة وخالد بن عقبة وعمرو بن عقبة وأم كلثوم بنت عقبة فهم إخوة عثمان لأمه.

كان عثمان من بطن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهم من كبار سادات قريش، وكان كريماً جواداً، وكان من كبار الأثرياء، وأبوه عفان هو ابن عم الصحابي الجليل أبي سفيان بن حرب الذي حارب الرسول ﷺ وآذاه قبل أن يسلم عند فتح مكة.

صفاته:

كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، رقيق البشرة، كثّ اللحية

عظيمها، عظيم الكراديس[(١)]، عظيم ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، يصفّر لحيته. وقال الزهري: كان عثمان رجلاً مربوعاً، حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع، أروح الرجلين[(٢)]، وأقنى[(٣)]، خدل الساقين[(٤)]، طويل الذراعين، قد كسا ذراعيه جعد الشعر، أحسن الناس ثغراً، جُمَّته[(٥)] أسفل من أذنيه، حسن الوجه، والراجح أنه أبيض اللون، وقد قيل: أسمر اللون. كان لا بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، كبير اللحية، أسمر اللون، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، تخضَّب بالصفرة، وشد أسنانه بالذهب.

إسلامه:

أسلم عثمان بن عفان في أول الإسلام قبل دخول سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ دار الأرقم، وكان عمره قد تجاوز الثلاثين. دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام قائلاً له: ويحك يا عثمان والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صمَّاء لا تسمع ولا تُبصر ولا تضر ولا تنفع؟ فقال: بلى والله إنها كذلك. قال أبو بكر: هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال: نعم. وفي الحال مرَّ رسول الله ﷺ فقال: «**يا عثمان أجب الله إلى جنته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه**»، قال: فوالله ما ملكت حين سمعت قوله أن أسلمت، وشهدت أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد الله ورسوله.

---

(١) الكراديس: جمع كردوس، وهو كل عظمين التقيا في مفصل.
(٢) أروح الرجلين: منفرج ما بينهما.
(٣) أقنى: طويل الأنف مع دقة أرنبته، وحدب في وسطه.
(٤) خدل الساقين: ضخم الساقين.
(٥) جُمَّته: مجتمع شعر الرأس.

كان عثمان أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحفظ الإسلام، ثم تبعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة.

تزوج عثمان رقية بنت رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ وهاجرت معه إلى الحبشة وإلى المدينة وكان يقال: «أحسن زوجين رآهما إنسان: رقية وعثمان». ثم إنها مرضت أثناء غزوة بدر فلم يشهد عثمان رضي الله عنه غزوة بدر لتمريضه رقية، فبشَّره رسول الله ﷺ أن له أجر رجلٍ شهد بدراً وسهمه. لما ماتت رقية حزن عليها حزناً شديداً فزوَّجه الرسول ﷺ من أختها أم كلثوم، لذلك لُقِّب بـ«ذي النورين» لأنه تزوج من بنتي رسول الله محمد ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يثق به ويحبه ويكرمه لحيائه وأخلاقه وحُسن عشرته وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين والذين آمنوا بالله، وبشَّره بالجنة؛ كأبي بكر وعمر وعلي وبقية العشرة، وأخبره بأنه سيموت شهيداً. وقد أثنى عليه رسولنا الأكرم وكان أشد الناس حياءً، وورد «**ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة**».

استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان، وكان محبوباً من قريش، وكان حليماً، رقيق العواطف، كثير الإحسان، وكانت العلاقة بينه وبين أبي بكر وعمر وعليّ على أحسن ما يرام، ولم يكن من الخطباء، وكان أعلم الصحابة بالمناسك، حافظاً للقرآن.

النسب:

أبوه: عفان بن أبي العاص.

أمه: أروى بنت كريز.

أشقاؤه لأبيه: آمنة بنت عفان.

أشقاؤه لأمه: الوليد بن عقبة، خالد بن عقبة، عمرو بن عقبة، وأم كلثوم بنت عقبة.

زوجاته: أم عمرو بنت جندب، فاطمة بنت الوليد، رقية بنت النبي محمد، أم كلثوم بنت النبي محمد، فاختة بنت غزوان، أم البنين بنت عيينة، رملة بنت شيبة، وفاطمة بنت الفرافصة.

ذريته: عمرو، خالد، أبان، عمر، مريم، وليد، سعيد، أم سعيد، عبد الله، عبد الله الصغير، عبد الملك، عائشة، أم أبان، أم عمرو، أم خالد، أم أبان الصغرى، أروى.

* * *

قلت:

مدينة العلم عليٌّ فادرِ لتكسب الخيرَ وكلَّ الأجر

الشَرح

❐ سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه:

هو: أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (١٣ رجب ٢٣ ق.هـ/ ١٧ مارس ٥٩٩م - ١١ رمضان ٤٠هـ/ ٢٨ فبراير ٦٦١م): ابن عم محمد بن عبد الله نبي الإسلام وصهره، من آل بيته، وكافله حين توفي والديه وجده، وأحد أصحابه، هو رابع الخلفاء الراشدين.

ولد في مكة، وتشير مصادر التاريخ بأن ولادته كانت في جوف الكعبة، وأمّه فاطمة بنت أسد الهاشميّة، أسلم قبل الهجرة النبوية، وهو ثاني أو ثالث الناس دخولاً في الإسلام، وأوّل من أسلم من الصبيان. هاجر إلى المدينة المنورة بعد هجرة سيدنا محمد ﷺ بثلاثة أيّام وآخاه رسول الله محمد ﷺ مع نفسه حين آخى بين المسلمين، وزوَّجه ابنته فاطمة بنت محمد ﷺ في السنة الثانية من الهجرة.

شارك سيدنا عليٌّ رضي الله عنه في كل غزوات الرسول ﷺ عدا غزوة تبوك حيث خلفه فيها رسول الله محمد ﷺ على المدينة. وعُرف بشدّته وبراعته

في القتال، فكان عاملاً مهمّاً في نصر المسلمين في مختلف المعارك وأبرزها غزوة الخندق ومعركة خيبر. لقد كان علي ﷺ موضع ثقة الرسول محمد ﷺ فكان أحد كُتّاب الوحي وأحد أهم سفرائه ووزرائه.

حين كان علي بن أبي طالب ما بين الخامسة والسادسة من عمره مرت بمكة سنين عسرة وضيق أثّرت على الأحوال الاقتصادية في مكة وما حولها، وكان لأبي طالب ثلاثة أبناء: علي وعقيل وجعفر، فذهب إليه الرسول محمد ﷺ وعمه العباس بن عبد المطلب وعرضا عليه أن يأخذ كلّ منهما ولداً من أبنائه يربيه ويكفله تخفيفاً للعبء الذي عليه، فأخذ العباس جعفر وأخذ محمد عليّاً، فتربى في بيته وكان ملازماً له أينما ذهب، كما يُذكر أنه كان قبل الإسلام حنفيّاً ولم يسجد لصنم قط طيلة حياته، ولهذا يقول المسلمون: «كرَّم الله وجهه» بعد ذكر اسمه، وقيل: لأنه لم ينظر لعورة أحد قط.

اشتهر علي عند المسلمين بالفصاحة والحكمة، فينسب له الكثير من الأشعار والأقوال المأثورة، كما يُعدّ رمزاً للشجاعة والقوّة، ويتّصف بالعدل والزُّهد حسب الروايات الواردة في كتب الحديث والتاريخ، كما يُعتبر من أكبر علماء الدين في عصره علماً وفقهاً إنْ لم يكن أكبرهم على الإطلاق.

وورد أنه مدينة العلم، والمؤمن إذا علم ذلك يقيناً يكسب الأجر والخير لاقتدائه بعلمه.

بويع بالخلافة سنة (٣٥هـ - ٦٥٦م) بالمدينة المنورة، وحكم خمس سنوات وثلاث أشهر وُصفت بعدم الاستقرار السياسي، لكنها تميزت بتقدُّم حضاري ملموس خاصة في عاصمة الخلافة الجديدة الكوفة وقعت الكثير من المعارك بسبب الفتن التي تُعد امتداداً لفتنة مقتل عثمان ﷺ، مما أدى لتشتُّت صف المسلمين وانقسامهم؛ كما خرج على سيدنا

علي رضي الله عنه جماعة عرفوا بالخوارج وهزمهم في النهروان، واستشهد على يد عبد الرحمٰن بن ملجم في رمضان سنة (٤٠هـ ـ ٦٦١م).

* * *

قلت:

ثم حواري الرسول عوفهم — سعد سعيد طلحة أمينهم

الشَرح

◻ الزبير بن العوام رضي الله عنه وأرضاه:

هو: الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أبو عبد الله (٥٩٤هـ ـ ٦٥٦م): ولد سنة (٢٨) قبل الهجرة، وأسلم وعمره خمس عشرة سنة، كان ممن هاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، تزوج أسماء بنت أبي بكر الصديق.

أمه الصحابية الجليلة: صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وهي عمة رسول الله ﷺ وشقيقة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب.

إخوته ثلاثة، اثنان منهم أسلما وواحد مات على الشرك:

١ ـ السائب بن العوام: أسلم وحضر أُحداً والخندق واستشهد يوم اليمامة عام (١١هـ) وليس له عقب.

٢ ـ عبد الرحمٰن بن العوام: كان يؤذي محمداً رسول الله ﷺ وشهد بدر في صفوف المشركين، وأسلم يوم فتح مكة عام (٨هـ) وكان اسمه في الجاهلية: عبد الكعبة، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن واستشهد يوم اليرموك عام (١٣هـ)، وابنه عبد الله استشهد يوم الدار في بيت عثمان بن عفان عام (٣٥هـ).

٣ ـ عبد الله بن العوام: كان وأخوه عبد الرحمٰن على جمل فوجدا

حكيم بن حزام ماشياً وهو ابن عمهما، وكان عبد الله أعرج فقال له أخوه عبد الرحمٰن: انزل بنا نركب حكيماً، فقال: أنشدك الله فإني أعرج، فقال: والله لتنزلن عنه، ألا تنزل لرجلٍ إن قتلت كفاك وإن أسرت فداك؟ فنزل وأركبا حكيماً على الجمل فنجا حكيم ونجا عبد الرحمٰن على راحلته وأُدرك عبد الله فقتل فمات على الشرك.

هجرته:

كان من المهاجرين بدينهم إلى الحبشة، تزوج أسماء بنت أبي بكر وهاجرا إلى المدينة، فولدت له أول مولود للمسلمين في المدينة عبد الله بن الزبير، ثم مصعب بن الزبير. يعرف الزبير بن العوام بحواري الرسول ﷺ، كما أن الزبير يعتبر أحد العشرة المبشرين بالجنة.

سبب قلة روايته للحديث:

كان حريصاً على ملازمة رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يروِ الكثير من الأحاديث؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ للزُّبَيْرِ: مَا لِي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ كَمَا أَسْمَعُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَفُلَاناً وَفُلَاناً؟! قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

من مناقب الزبير بن العوام:

١ ـ كان أول من سلَّ سيفاً في سبيل الله: فعن عروة وابن المسيب قالا: أول رجل سلَّ سيفه في الله الزبير، وذلك أن الشيطان نفخ نفخة، فقال: أُخذ رسول الله ﷺ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه، والنبي ﷺ بأعلى مكة.

٢ ـ حواري رسول الله ﷺ: فعَنْ جَابِر بن عبد الله قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟**»، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ

قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟**»، قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيّاً، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».

٣ ـ نزلت بسيماه الملائكة: فعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل عليه السلام على سيماء الزبير.

٤ ـ في «يوم قريظة» جمع له رسول الله ﷺ بين أبويه: فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما عَنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: «**بِأَبِي وَأُمِّي**».

شهد بدراً وجميع غزوات الرسول ﷺ، وكان ممن بعثهم عمر بن الخطاب بمدد إلى عمرو بن العاص في فتح مصر، وقد ساعد ذلك المسلمين كثيراً لما في شخصيته من الشجاعة والحزم. ولما مات عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة المجوسي قاتله الله كان الزبير من الستة أصحاب الشورى الذين عهد عمر إلى أحدهم بشؤون الخلافة من بعده، وقد قتل شهيداً يوم صفين، ودفن في أطراف البصرة.

* * *

قلت:

ثم حواري الرسول (عوفهم) سعد سعيد طلحة أمينهم

الشَرح

□ سيدنا عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه وأرضاه:

هو: عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أمه: الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن

مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

مولده وإسلامه وجهاده:

ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، فهو أصغر من النبي ﷺ بعشر سنين. وكان عبد الرحمٰن من السابقين الأولين إلى الإسلام، إذ أسلم قبل دخول النبي محمد ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان اسمه عبد عمرو، وقيل: عبد الحارث، وقيل أيضاً: عبد الكعبة، فغيَّره النبي محمد ﷺ إلى عبد الرحمٰن، وأسلم معه أخوه الأسود بن عوف وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وسائر المشاهد، وآخى النبي محمد ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الخزرجي.

بعثه النبي محمد ﷺ إلى دومة الجندل، ففتح الله عليه، وأذن له النبي محمد ﷺ أن ينكح ابنة ملكهم، وهي تماضر بنت الأصبغ الكلبي.

ذكر شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في «الإصابة»: «قال معمر عن الزهري، تصدق عبد الرحمٰن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدَّق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة».

منزلته عند النبي محمد ﷺ:

كان عبد الرحمٰن كغيره من الصحابة السابقين الأولين الذين لم يدهشهم الغنى، ذا منزلة عظيمة عند رسول الله ﷺ.

وذكر ابن سعد في «الطبقات»: قال عبد الرحمٰن بن عوف: قطع لي رسول الله ﷺ أرضاً بالشام يُقال لها: السليل، فتوفي النبي ﷺ ولم يكتب لي بها كتاباً، وإنما قال: «**إذا فتح الله علينا بالشام فهي لك**».

وكان سنه عندما توفي خمسة وسبعون عاماً في عام ٣١ للهجرة ودفن مع صاحبه عثمان بن مظغون في البقيع رضي الله عنهم جميعاً.

زوجاته: أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، سهلة بنت عاصم، بنت أبي الخشخاش، غزال بنت كسرى، زينب بنت الصباح، بادنة بنت غيلان، بحرية بنت هانئ، أسماء بنت سلامة، تماضر بنت الأصبغ، مجد بنت يزيد، أم حريث، أم حكيم بنت قارظ.

* * *

قلت:

ثم حواري الرسول عوفهم (سعد) سعيد طلحة أمينهم

الشرح

□ سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا برضاه:

هو: سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي، صحابي جليل، من أوائل من دخلوا في الإسلام، وكان في السابعة عشر من عمره، ولم يسبقه في الإسلام إلا أبو بكر وعلي وزيد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

نسبه:

هو: سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

فهو من بني زهرة وهم: فخذ آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ، وقد كان الرسول ﷺ يعتز بهذه الخؤولة، فقد ورد أنه ﷺ كان جالساً مع نفر من أصحابه فرأى سعد بن أبي وقاص مقبلاً فقال لمن معه: «**هذا خالي فليرني امرؤ خاله**».

مولده ونشأته:

وُلد في مكة سنة (٢٣) قبل الهجرة، نشأ سعد في قريش، واشتغل في بري السهام وصناعة القسي، وهذا عمل يؤهل صاحبه للائتلاف مع الرمي، وحياة الصيد والغزو، وكان يمضي وقته وهو يخالط شباب قريش وساداتهم ويتعرَّف على الدنيا من خلال معرفة الحجاج الوافدين إلى مكة المكرمة في أيام الحج ومواسمها، المتباينة الأهداف والمتنوعة الغايات.

إسلامه:

سعد بن أبي وقاص دخل الإسلام وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان إسلامه مبكراً، ويتحدث عن نفسه فيقول: «... ولقد أتى عليّ يوم، وإني لثلث الإسلام...»، يعني: أنه كان ثالث ثلاثة سارعوا إلى الإسلام، وقد أعلن إسلامه مع الذين أعلنوه بإقناع أبي بكر الصديق إياهم، وهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمٰن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، أسلم عبر حلم حين كان في يوم رأى رؤية وجد فيها أنه يمشي في مكان مظلم وكلما مشى أكثر اشتدّ عليه الظلام ثم وجد قمراً منيراً بشدة فذهب هناك وجد أن أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمٰن بن عوف يقفون أسفله فعلم أن القمر هو الرسول محمد ﷺ فعندها استيقظ أعلن إسلامه.

وكانت وفاته في المدينة المنورة في منطقة العقيق سنة (٥٥ هـ) وحمل ودفن في البقيع.

* * *

قلت:

ثم حواري الرسول عوفهم سعد (سعيد) طلحة أمينهم

الشَرح

□ سيدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا برضاه:

هو: الصحابي سعيد بن زيد العدوي القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم.

نسبه:

هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وزيد هذا هو ابن عم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان على دين إبراهيم، أدرك الرسول ﷺ، غير أنه لم يدرك البعثة.

أمه: فاطمة بنت نعجة بن مليح الخزاعية، وخزاعة هو ابن ربيعة بن عمرو رضي الله عنها.

إسلام والده وإسلامه:

كان وَالِدُهُ زيد بن عمرو مِمَّنْ فَرُّوا إِلَى اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَسَاحَ فِي أَرْضِ الشَّامِ يَتَطَلَّبُ الدِّينَ القَيِّمَ، فَرَأَى المَسِيحِيينَ وَاليَهُود، فَكَرِهَ دِيْنَهُمْ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَى دِيْنِ إِبْرَاهِيم»، وَلَكِنْ لَمْ يَظْفَرْ بِشَرِيعَةِ إِبْرَاهِيم عليه السلام كَمَا يَنْبَغِي، وَلَا رَأَى مَنْ يُوْقِفُهُ عَلَيْهَا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ، فَقَدْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، رَأَى النَّبِيَّ وَلَمْ يَعِشْ حَتَّى بُعِثَ.

قَالَ سَعِيْدٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي كَانَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ وَبَلَّغَكَ، وَلَو أَدْرَكَكَ لآمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ، قَالَ: «**نَعَم، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ**».

أسلم سعيد قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد حصار دمشق وفتحها، فولّاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة.

وامرأة سعيد هي ابنة عمه فاطمة أخت عمر بن الخطاب، وأخته عاتكة بنت زيد زوجة عمر بن الخطاب، وهاجر مع زوجته، وكانا من سادات الصحابة.

لم يشهد معركة بدر؛ لأنه قد كان بعثه رسول الله ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله بين يديه يتجسسان أخبار قريش، فلم يرجعا حتى فرغ من بدر فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما، وشهد أُحداً وغزوة الخندق وصلح الحديبية والمشاهد.

توفى في المدينة المنورة سنه (٥١ هـ) ودفن في البقيع ودخل قبره سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم جميعاً.

❊ ❊ ❊

قلت:

ثم حواري الرسول عوفهم سعد سعيد (طلحة) أمينهم

الشَّرح

□ سيدنا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا برضاه:

هو: الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي (٢٦ق.هـ ـ ٣٦هـ/ ٥٩٨م ـ ٦٥٦م).

نسبه:

أبوه: عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أمه: الصعبة بنت الحضرمي بن عبدة بن ضماد بن مالك من بني الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت، وهي أخت الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي.

وصفه:

قال أبو عبد الله بن منده: كان رجلاً آدم، كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسحل، حَسن الوجه، إذا مشى أسرع ولا يغيِّر شعره.

وعن موسى بن طلحة قال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة مربوعاً إلى القصر هو أقرب رحب الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين إذا التفت التفت جميعاً.

كان طلحة في تجارة بأرض بصرى حين لقي راهباً من خيار رهبانها، وأنبأه أن النبي الموعود سيخرج من مكة، والذي تنبأ به الأنبياء وقد هلَّ عصره وأشرقت أيامه.

ولم يرد طلحة أن يفوته هذا الموكب، فإنه موكب الهدي والرحمة والخلاص، وحين عاد طلحة إلى مكة بعد شهور قضاها في بُصرى وفي السفر، فكلما يلتقي بأحد أو بجماعة منهم يسمعهم يتحدثون عن محمد الأمين، وعن الوحي الذي يأتيه، وعن الرسالة التي يحملها إلى العرب خاصة، وإلى الناس كافة. وسأل طلحة أول ما سأل عن عمه أبي بكر الصديق، فعلم أنه عاد مع قافلته وتجارته من وقت قريب، وأنه يقف إلى جوار محمد ﷺ مؤمناً أواباً.

وحدث طلحة نفسه: محمد، وأبو بكر؟ تالله لا يجتمع الاثنان على ضلالة أبداً، ولقد بلغ محمد الأربعين من عمره، وما عهدنا عليه خلال هذا العمر كذبة واحدة.. أفيكذب اليوم على الله، ويقول: إنه أرسلني وأرسل إليّ وحياً...؟ فهذا هو الذي يصعب تصديقه. وأسرع طلحة الخطى إلى دار أبي بكر، ولم يطل بينهم الحديث، فقد كان شوقه إلى لقاء الرسول ﷺ ومبايعته أسرع من دقات قلبه، فصحبه أبو بكر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث أسلم وأخذ مكانه في القافلة المباركة، وهكذا كان طلحة من السابقين الأولين المبكرين للإسلام.

كنيته:

كنّاه رسول الله ﷺ عدة كنى:

- هو صقر أُحد.
- في غزوة أُحد كنّاه بطلحة الخير.
- في غزوة ذي العشيرة كنّاه بطلحة الفياض.
- في غزوة خيبر كنّاه بطلحة الجود.

* * *

قلت:

ثم حواري الرسول عوفهم   سعد سعيد طلحة (أمينهم)

الشَرح

□ سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا برضاه:

هو: أبو عبيدة بن الجراح الفهري القرشي، صحابي جليل وأمين الأمة الإسلامية (٤٢ق.هـ/ ٥٨٢م ـ ١٨هـ/ ٦٣٩م).

نسبه:

هو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أمه: أميمة بنت عثمان بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

بعض مواقف أبي عبيدة بن الجراح مع الرسول ﷺ:

وكان ممن ثبت مع الرسول ﷺ يوم أُحد، وقد أسرع إلى رسول الله ﷺ ونزع الحلقتين من المغفر اللتين دخلتا في وجنة رسول الله ﷺ. وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي جمعة حبيب بن سباع قال: تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، قال: فقال: يا رسول الله، هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك، وجاهدنا معك. قال: «**نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني**».

بعض مواقف أبي عبيدة بن الجراح مع الصحابة:

مع أبي بكر الصديق:

بعث أبو بكر الصديق إلى أبي عبيدة: هلم حتى أستخلفك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل أمة أميناً، وأنت أمين هذه الأمة**». فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدم رجلاً أمره رسول الله ﷺ أن يؤمنا. وقال أبو بكر الصديق يوم السقيفة: «قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين»؛ يعني: عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح.

مع عمر بن الخطاب:

كان عمر يقول: «لم أكن مغيراً أمراً قضاه أبو عبيدة». وأول كتاب كتبه عمر بن الخطاب حين وَلِيَ كان إلى أبي عبيدة يوليه على

جند خالد بن الوليد، إذ قال له: «أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي هدانا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحق عليك».

مع خالد بن الوليد:

لما عزل عمر خالداً وولَّي أبا عبيدة قام خالد وقال للناس: «بعث عليكم أمين هذه الأمة». وقال أبو عبيدة للناس عن خالد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خالد سيف من سيوف الله، نِعْمَ فتى العشيرة**».

حياته العطرة:

أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وقال عنه رسول الله ﷺ: «**إن لكل أُمَّة أميناً وأمين هذه الأُمَّة أبو عبيدة بن الجراح**».

ويُعد من أحد العشرة المبشرين بالجنة.

قاد غزوة الخبط عندما أرسله النبي محمد ﷺ أميراً على ثلاث مائة وبضعة عشر مقاتلاً، ومعهم قليل من الزاد، وعندما نفد الزاد راحوا يتصيدون الخبط؛ أي: ورق الشجر فيسحقونه ويسفونه ويشربون عليه الماء، لهذا سميت هذه الغزوة بغزوة الخبط. كما كان أحد القادة الأربعة الذين اختارهم أبو بكر لفتح الشام وهم: يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح. عيَّنه عمر بن الخطاب قائداً عاماً على جيوش الشام، لاقى أباه مع صف المشركين في بدر فنازله وقتله.

شارك في معركة اليرموك وقد أمره الخليفة عمر بن الخطاب على

الجيش بدلاً من خالد بن الوليد، ولكنه أخفى أمر الإمارة عن خالد إلى أن انتهى خالد من المعركة محرزاً النصر ثم أعلمه بأمر عمر فسأله خالد: «يرحمك الله أبا عبيدة، ما منعك أن تخبرني حين جاءك الكتاب؟» فأجاب أبو عبيدة: «إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، كلنا في الله أخوة».

قال عنه عمر بن الخطاب وهو يجود بأنفاسه: «لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّاً لاستخلفته فإن سألني ربي عنه قلت: استخلفت أمين الله، وأمين رسوله». وقال عنه: «لو كنت متمنياً ما تمنيت إلا بيتاً مملوءاً برجال من أمثال أبي عبيدة».

من أشهر ما قال أبو عبيدة بن الجراح خطبته في أهل الشام وهو أميرهم: «يا أيها الناس إني مسلم من قريش وما منكم من أحد، أحمر، ولا أسود، يفضلني بتقوى إلا وددت أني في إهابه».

روي عن أنس بن مالك في «المسند الصحيح»: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السُّنَّة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: **«هذا أمين هذه الأُمَّة»**.

مات بطاعون عمواس ودفن في قرية صغيرة حملت اسمه بالغور في الأردن وكان عمره (٥٨) سنة، وهذا يعني أنه ولد في الأغلب سنة أربعين قبل الهجرة.

□ خلاصة الخلاصة: العشرة المبشرون بالجنة

ثم أبو بكر وبعدَهُ عُمَرْ وبعدهُ عثمانُ ذو الوجهِ الأَغَرْ
ثم عليٌّ بَبَاقي العشرة أسماؤهم معروفةٌ مشتهرَةْ

ثم حواريُّ الرسولِ عوفُهمْ سعدٌ سعيدٌ طلحةٌ أمينُهمْ

الاسم	وفاته أو الشهادة	أولاده	
		ذكور	إناث
سيدنا أبو بكر الصديق كان اسمه عبد الكعبة فسماه النبي عبد الله ولقبه: العتيق	وفاته سنة (١٣) من الهجرة وعمره (٦٣) سنة	٣	٣
سيدنا عمر، وكنّاه الرسول ﷺ أبو حفص، والفاروق	سنة (٢٤هـ) وعمره (٦٣) سنة	٩	٤
سيدنا عثمان بن عفان، أبو عبد الله، وأبو عمرو، وأبو ليلى، وذو النورين	قتل سنة (٣٥هـ) وعمره (٦٨) سنة	٩	٧
سيدنا علي بن أبي طالب، أبو الحسن، أبو الريحانتين، وأبو تراب	قتل سنة (٤٠هـ) وعمره (٦٣) سنة	١٤	١٨
سيدنا طلحة بن عبيد الله، أبو محمد، لقِّب بطلحة الخير والجود، والفياض	قتل يوم الجمل سنة (٣٦هـ)	١٠	٤
سيدنا الزبير بن العوام، أبو عبد الله، حواري الرسول ﷺ	قتل سنة (٣٦هـ)	١١	٩
سيدنا عبد الرحمٰن بن عوف، كان اسمه عبد الكعبة، وكنيته أبو محمد الصادق البار	توفي سنة (٣١هـ)	٢٨	٨
سيدنا سعد بن مالك، أبو إسحاق خال النبي؛ لأنه من بني زهرة وهو سعد بن أبي وقاص	مات بالعقيق ودفن في البقيع سنة (٥٥هـ)	١٧	١٧
سيدنا سعيد بن زيد، كنيته أبو الأعور	مات بالعقيق سنة (٥٠هـ)	١٣	١٨
سيدنا أبو عبيدة بن الجراح، عامر، ولقِّب بأمين هذه الأُمَّة	مات بالأردن وفيها قبره سنة (١٨هـ)	٢	١
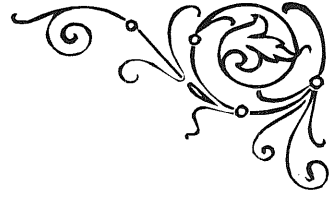
القسم الخامس

أولياء الله تعالى

قد أتى النص وفي حق الولي ... إنّ في الكتاب أو مقولة النبي

وأعظم الأقوال والمشتهره ... من آذى لي مولى كريماً قهره

وحفظهم من الأجلّ وعده ... ومنجز لمن أراد قربه

لا تنكرن للأوليا الكرامهْ ... ومن عماها فاتركن كلامه

أولياء الله تعالى

قلت:

قد أتى النص وفي حق الولي إنْ في الكتاب أو مقولة النبي
وأعظم الأقوال والمشتهره من آذى لي مولى كريماً قهره

الشَّرح

إن الله تعالى له خصوصية في الأمكنة والأزمنة والأشخاص، ومن هؤلاء الأشخاص الأولياء الصالحون المتقون، والولي كما هو معروف هو المواظب على الطاعات المتلبس بالعبادات التارك للمنهيات، المعرض عن الشهوات، المتخذ الورع والذكر ديدنه وسبيله. وقد أتت النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة لترفع شأن الأولياء الصالحين.

فقد قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

وفي الحديث القدسي الكريم عن ربِّ العالمين قال: «**من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب**».

وهذا نص واضح لمن عادى أولياء الله الصالحين وآذاهم، فقد بارز الله بالمحاربة والعياذ بالله تعالى.

بَيْدَ أن من سلك هذا الدرب الظالم وتكلم على أولياء الله تعالى فقد قهرهم وظلمهم، كما أنه يقهر نفسه ويظلمها.

والصفات التي يتحلىٰ بها الولي والخلق الكريم الذي يلازمه هي

كثيرة ومتعددة، وهي خصوصية من الله تعالى كما ذكرنا، فأهمها: الإخلاص، والقدوة، والاتباع، والمحبة، وسلامة الصدر والقلب، والحرص على الدين، والدعوة إلى الخير والبر والذكر وقول الحق؛ كما أن الله ﷻ أظهر على يد بعض الأولياء الكرامات؛ لأنها فرع عن المعجزة الخاصة بالأنبياء.

ولذلك قال العلماء: كل معجزة كانت لنبي، صح أن تكون كرامة لولي، مع الفرق الذي ذكرناه في تعريف المعجزة، وبعض الناس تجرؤوا ولاكت ألسنتهم الحديث المضطرب عن الكرامات حتى أن بعضهم أنكرها، وهذا لا يلتفت إلى قوله لأنه إمَّا جاهل لا يميز وإما مفتر مغرور.

وقد أتى القرآن الكريم على ذكر الكثير من الكرامات التي حصلت في أزمنة متعددة، ومنها:

- كرامة السيدة مريم التي أثبتها القرآن بقوله: ﴿...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧]، فكان يجد عندها فاكهة الصيف بالشتاء وفاكهة الشتاء بالصيف.

- ومنها: كرامة آصف بن برخيا الذي قال لسيدنا سليمان: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، فأتاه بالقصر على التمام وغير ذلك من الكرامات المتواترة الواضحة.

◻ من كرامات الصحابة:

عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلين[١] من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين[٢] يضيئان

---

(١) رجلين: هما عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما.

(٢) معهما مثل المصباحين: جعل الله تعالى أمامهما نورين إكراماً لهما ومعجزة للنبي ﷺ.

بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله»[١].

□ من كرامات الصالحين:

كان عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تطلق أعضاؤه ثم تعود بعده.

فالذي نعتقده وندين الله به: أن الكرامة واقعة وجائزة شرعاً وعقلاً.

* * *

قلت:

وحفظهم من الأجلِّ وعْدُهُ ومنجز لمن أراد قربه

الشَّرح

إن اعتقاد أهل السنة والجماعة بل انعقد إجماعهم على أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء؛ لأنهم يبلِّغون عن ربِّ العالمين شرعه ودينه الذي أتمَّه لنا، أما الأولياء فهم محفوظون بحفظ الله تعالى.

والمعنى والمعتقد أن إمكانية المعصية منهم نادرة جدّاً ولأنهم بشر، ولكن وإن حصلت منهم ووقعت فعناية الله تعالى تحفظهم وترعاهم. وإن وقع منهم شيء من ذلك بادر إلى التوبة والإنابة، ولم يقع في حبائل الشيطان باليأس من رحمة الله تعالى؛ لأنه كان للأوابين غفوراً.

* * *

(١) رواه البخاري.

قلت: والخلاصة:

لا تُنكرن للأوليا الكرامه ومن عماها فاتركن كلامه

الشَرْح

كما تقدم أن الله ﷻ خصَّ أحبابه الأولياء بكرامات تظهر على أيديهم لإرغام المنكرين للتصديق بهم، والإيمان بأولياء الله تعالى الذين ذكرهم الله في كتابه ورسولنا الأكرم في سُنَّته.

وهذا لا يختلف فيه اثنان، ولكن هناك الكثير من الناس الذين تسلط العمى على قلوبهم وأفهامهم، وغاصوا بما لا يصح من عاقل افتراءاً وكذباً على أولياء الله تعالى.

والكرامات الخاصة بالأولياء هي واضحة وضوح الشمس في النهار وبينة ظاهرة ظهور الضوء للعين، فهؤلاء لا يلتفت لقولهم ورأيهم.

والـلَّـه فـي الـبَـدْءِ وفـي الـخِـتَـامِ   أســألُــهُ وغَــايَــةُ الــمَــرامِ

وأسأل الله تبارك وتعالى بدايةً وختاماً القبول والتوفيق داعياً أن يجعل ذلك مقبولاً، إذ هو المقصود والغاية المنشودة.

* * *

في صُحْبَةِ الهادِي النَّبِيِّ المصْطفى   إذ ذاكَ مَـطْـلَـبُ الـكِـرامِ الـشُّـرَفَـا

كما أسأله تعالى صحبةَ النبي المصطفى ﷺ صحبةَ اقتداء واتباع ومسيرة حسنة مقرونة بمحبته، حيث هي التي تولد الاتباع الحسن. قال تـعـالـى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وصحبته عليه الصلاة والسلام مطلب الكرام والشرفاء الذين غرسوا محبة رسولنا الأكرم في نفوسهم وقلوبهم.

والـحـمـدُ لـلَّـهِ عـلـى ذي الـنَّـسَـقِ   ما غَـسَـلَ الـصبـحُ ثـيـابَ الـغَـسَـقِ

وإني أحمد الله تعالى حمداً طيباً مباركاً فيه على ما أكرمنا من تنسيق هذا العمل نظماً وشرحاً وإيضاحاً، وذلك مدة غسل الصبح ثياب الليل السوداء.

وفي هذا اللفظ تشبيه واستعارة فيه أروع المثال الحسن.

* * *

نَظَمَـها الـعـبـدُ الـفـقـيـرُ الـمـذْنِـبُ   صـلاحُ فـخـرٍ عـفـوَ ربٍّ يَـطْـلُـبُ

وقد نظمت هذا النظم وجهدت به وبذلت قصارى جهدي وأنا العبد الفقير المفتقر المعترف بالذنوب بين يدي الله تعالى.

وأطلب منه المغفرة لأنه هو العزيز الغفار، وأطلب منه العفو فهو العفو الرحيم.

اللَّهُمَّ حقِّق فينا ذلك.

واغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب.

وهذا ما يسَّر الله تعالى لي كتابته وجمعه وشرحه من غير حشو ولا تعقيد، والله أسأل وبنبيِّه أتوسل أن يجعل هذه الكتابة خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها النفع العميم، والمرجو من صاحب العقل السليم والخلق القويم أن يقبل عثراتي ويستر هفواتي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلَّى الله وسلم وشرف وكرم على النبي الرؤوف الرحيم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

وختاماً أسأل الله القبول والنفع في الدارين، وإني لأرجو من كل منصف يقرأ هذا البحث أن يتذكر قول القائل:

إن تجد عيباً فسد الخللا ... جل من لا عيب له وعلا

وقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وظن به خيراً وسامح نسيجه ... بالإغضاء والحسنى وإن كان هلهلا

وسلم لإحدى الحسنيين إصابة ... والأخرى اجتهادٌ رام صوباً فامحلا

ولا يسعني في الختام إلا أن أدعو الله عَزَّ وَجَلَّ أن يبارك فيما كتبت ونقلت، وأن يجعله ذخراً لي في الحياة والممات إنه قريب مجيب سميع الدعوات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه

العبد الفقير إلى عفو ربه الغني

الشيخ صلاح الدين بن خضر فخري

الحسيني البيروتي

فهرس الموضوعات